TAG_414.A_0503

وزارة التعليم العالى و البحث العلمي

جامعة تلمسان

معهد اللغة و الادب العربي

رسالة لنيل شهادة الماجستير

تركيب الجملة في مقامات الحريري
دراسة نحوية بلاغية

اعداد الطالب

بلبشير لحسن

اشراف :

الاستاد الدكتور

مختار بوعناني

السنة الجامعية

1414 هـ - 1994 م

الفهـــــــــــرس

الفهـــرس : ..... أ - د

المقدمـــة : ..... هـ - ز

تمهيـــد : ..... 1 - 33

مفهـوم المقـامـــة ..... 2 - 5

الجملـة عند النحويين ..... 6 - 24

الجملـة عند البلاغيين 25- 33

الفصـــل الاول : ..... 34 - 151

تركيب الجملـــة في مقامات الحريري

دراسـة نحـويـــة

مـدخـل : ..... 35 - 55

الجملـــة تركيبـا واعـرابـا عنـد اللغويين

أنـواع الجمـــل : ..... 56 - 151

1 - الجملـــة البسيطـــة ..... 56 - 72

2 - الجملـــة المركبـــة ..... 73 - 81

3 ـ الجملـة الخبريـة ..... 82 ـ 99

ـ الجملة المثبتـة

ـ الجملة المؤكـدة

ـ الجملـة المنفيـة

4 ـ الجملـة الانشـائيـة : ..... 100 ـ 151

1 ـ الجملـة النـدائيـة .....100 ـ 111

2 ـ الجملـة الاستفهـامية ..... 112 ـ 127

3 ـ جملـة القسـم ..... 128 ـ 137

4 ـ جملة الامـر والنهي .....138 ـ 151

الفصـل الثاني : ..... 152 ـ 235

الخصائص اللفظية والمعنوية وأثرها في التركيب

اللغوي في مقامات الحريري

مـدخـل : ..... 153 ـ 167

مدخـل الى علـم البـلاغـة

أولا : الخصـائـص اللفظيـة وأثـرهـا في التركيب اللغوي

في مقامات الحـريـري .....:. 168 ـ 200

- الجنـــاس ..... 168 - 186

- السجـــع ..... 187 - 200

ثانيا : الخصائص المعنـــويـــة وأثرهـــا في التركيب اللغوي

في مقامات الحريـــري ..... 201 - 235

- الايجـاز ..... 203 - 210

- الاطناب ..... 211 - 220

- الاقتبـاس ..... 221 - 231

تقويـــم الفصـل : ..... 232 - 235

الخـاتمـــة : ..... 236 - 243

قائمـــة المراجـــع : ..... 244 - 259

المقـــــد مـــــــة

ان دراسة الجملة العربية لم تحظ بالاهتمام والعناية من قبل علماء اللغة ونحاتها قديما ، ولم يشأ لها أن تدرس دراسة تحليلية شاملة ، كما حدث للصيغ الافرادية ، ولايمكن اغفال جهود بعض العلماء الذين خصوا الموضوع بأبحاث جليلة جمعوا فيها مادة ضخمة فتحت أبوابا للنحاة في مراحل لاحقة .

فبعد أن أوسع علماء اللغة الكلمة بحثا انصرفت عناية بعض المعاصرين الى تحليل الجملة النحوية بعد ظهور نظريات فكرية مختلفة جديرة بالاعتبار ،تهدف الى تطوير البحث اللغوي في ميدان الجملة بما يوافق البحث العلمي ، حيث اتجه التفكير الى ضرورة تغيير بعض الاحكام والاصول التي كانت تبدو ثابتة .

ومن هنا كان الدافع الى محاولة تغيير بعض الاحكام في النحو العربي بحجة التيسير وابعاده عن التعقيد والتأويل بما يوافق البحث العلمي .

ولم أكن الوحيد الذي تعرض لدراسة الجملة ، انما هناك كثير من الباحثين في العالم العربي تعرضوا لدراستها على أنواعها المختلفة ، وقد اختلفت دراساتهم من باحث لآخر ، فمنهم من درسها في كتاب أو ديوان شعر أو عند

عالم أو أديب أو في سورة قرآنية ، ومن الذين تناولوا الجملة العربية بالدراسة نذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، فخر الدين قباوة الذي تطرق في كتابه (اعراب الجمل وأشباه الجمل) الى الجملة وأقسامها واعرابها وكل ما يدور في رحابها ، أما ابراهيم عبادة فقد تناول المكونات التركيبية للجملة في دراسة نحوية لغوية ، ونجد عبد الفتاح الدجني يتناولها من حيث النشأة والتطور والاعراب ، بالاضافة الى ذلك نجد دراسات مختلفة في رحاب الجملة والتركيب أغلبها لا يزال تحت الطبع نذكر منها : التراكيب وخصائها في مقامات الحريري ،والجملة الفعلية في رسالة الغفران ، ونظام الجملة ودلالاتها في سورة البقرة ، وغيرها من الدراسات .

وقد أفادتني هذه الابحاث كثيرا وفتحت أمامي طريق البحث في تركيب الجملة العربية عند الحريري ، واختياري لهذا البحث يعود أساسا الى الدراسات اللغوية للجملة النحوية التي لا تزال في اعتقادي تتطلب مزيدا من البحث في هذا الحقل ، بغية الوصول الى محصول غزير .

أما اختياري للحريري ومقاماته كميدان للتطبيق فلأن الحريري يعد أحد أقطاب اللغة العربية وآدابها ،

وأن مقاماته تمتاز بأساليب لغوية وبلاغية راقية . بالاضافة الى خصوصية النظام التركيبي عنده الذي يسمح للجملة بالامتداد والاطالة والتنوع والتقليب حيث الحذف والتقديم والتأخير ، وفي كثير من الاحيان طابع السجعة يفرض أحكاما خاصة بالتركيب .

وقد واجهتني صعوبات جمة أول الامر ، خاصة بعد رحيل المشرف الاول الى سوريا بصفة نهائية ، والبحث لم يكن قد شق طريقه بعد ، الى جانب قلة المصادر والمراجع الاساسية في الموضوع ، مما كلفني جهدا كبيرا ، كما كان لزاما علي أن أجد مشرفا آخرو قد تطلب ذلك وقتا غير يسير .

وقد قسمت بحثي الى مدخل وفصلين ، وتطرقت في المدخل الى تعريف موجز للمقامة الادبية ، ثم تكلمت عن الجملة عند اللغويين القدماء مستعرضا أهم الجوانب التي تعرضوا اليها بدءا بسيبويه ، مارا بأشهر أعلام اللغة حتى عصر الحريري ، وذكرت عالمين عاشا بعد فترة الحريري بقليل لأهمية دراستهما في ميدان الجملة .

وقد اخترت مقامات ثلاث: الدمشقية والفرضية والمغربية وجاء هذا الاختيار عفويا لأن معظم المقامات تتشابه تشابها مطلقا في التركيب العام للاساليب .

أما الفصل الاول فقد خصصته لدراسة تركيب الجملة عند الحريري ، وقد تعرضت في اثناء ذلك الى علم التركيب وعلاقته بالاعراب، والجملة البسيطة والمركبة ، والتركيب الخبرى مع التركيز على نوعية الجملة المستخدمة ، ثم التركيب الانشائي واقتصرت فيه على الجملة الندائية وجملة القسم وجملة الاستفهام وجملة الامر والنهي ، وكانت دراسة هذه التراكيب في أبسط صورها ، ثم مع متمماتها كالمفاعيل والاحوال والنعوت مفردة كانت أم جملا .

بعد هذا انتقلت الى الفصل الثاني وخصصت مدخلا تكلمت فيه عن الجملة عند النحاة وأشرت الى الجهود المتضافرة بينهم وبين البلاغيين في مجال تطوير الدراسة اللغوية في حقل الجملة العربية شكلا ومضمونا .

كما تعرضت دراستي في هذا الفصل - بالاضافة الى ماذكر - الى أهم الخصائص التركيبية اللفظية منها والمعنوية .

وقد اعتمدت في دراستي لمختلف الاساليب اللغوية عند الحريري على منهج وصفي تحليلي ، حيث لجأت الى وصف المادة اللغوية ثم تحليلها الى عناصر ووحدات ، مظهرا لاهم الخصائص التي تكمن بها ، من ظواهر نحوية وتركيبية .

وختاما لا يسعني الاّ أن أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري واحترامي لأستاذي الفاضل الدكتور بوعناني مختار الذي تحمل مسؤولية الاشراف على هذا البحث وما حضيت به من عناية صادقة ورعاية خالصة، وما أمدني من توجيهات سديدة ، وآراء منيرة ، أضاءت لي كثيرا من السبل المظلمة ، وكانت لي دعما قويا نحو بلوغ ثمرة هذا البحث والنهوض به لأخرجه الى الوجود .

وقد طعم بحثي بالكثير من المراجع الهامة وأتاح لي فرصا عديدة للقائه بجامعة وهران ،ولم يبخل علي ولو مرة بسداد رأيه وغزير علمه ، فجزاه الله خير جزاء وأبقاه ذخرا للعلم ، تنتفع به الاجيال .

كما أشكر جميع الاصدقاء من أساتذة جامعة تلمسان الذين شملوني بالعناية ، وكل من قدم لي نصيحة أو مشورة أو توجيها .

كما لا أنسى أن أقدم تشكراتي الصادقة الى القائمين بأمور المكتبة الجامعية الذين أتاحوا لي فرص الاطلاع على مختلف المراجع .

وأسأل الله التوفيق والسداد للجميع

تمهيـــــــــــــد

أ - مفهـــوم المقـامـــة

ب - الجملة عند النحوييـــن

ج - الجملة عنـد البـلاغييـــن

مفهوم المقامة

معظم المعاجم العربية تكاد تتفق على مدلول واحد للفظ المقامة الذي يعني المجلس أو الجماعة من الناس . فصاحب لسان العرب قد عرف المقامة بأنها الموضع الذي تقيم فيه ، والمُقامة بالضم الاقامة والمَقامة بالفتح المجلس ، والجماعة من الناس ، وأما المُقام والمَقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام " (1)

وقد استعملها الشعراء القدماء في المدلولات التالية : المجلس أو النادي أو موضع يقام فيه ، أو جماعة من الناس يجتمعون في مجلس أو موقف للفصل في خصومة أو حض على الخير .

أما كبار كتاب العرب القدماء أمثال الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه والمسعودي وأبي على القالي فقد استعملوها في معان مختلفة ومدلولات متباينة ، فقد نجدها تارة

---

1 - لسان العرب - مادة : ق و م

تعني الموضع أو الكلام ، وأحيانا تحمل معنى المجلس أو الجماعة ، وأحيانا أخرى الموعظة والخطبة أو الحكاية ، ومهما يكن من أمر فان لفظة المقامة وما تحمله من اختلاف في المعنى في كثير من الاحيان ، فهي تسمية ملائمة لهذا الفن من فنون القول والكتابة .

وقد استعملت لفظة المقامة في القرآن الكريم بمعنى المنزل أو المسكن " واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفرقين خير مقاما وأحسن نديا " (مريم : 73)

ويرى القرطبي أن المقام هنا موضع الاقامة ، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الاقامة " (1)

فالمقامة لا تختلف في شيء عن المقام ، كلاهما اشتق من قام ، وكلاهما يدل على المكان أو المصدر ، وليس المكان في حقيقة أمره الاّ موضعا للجلوس ، فلا غرابة ان وجدنا ابن منظور يقول : المقام أو المقامة : المجلس .

وقد عرّف الشريسي (شارح مقامات الحريري) المقامة بقوله :

---

1 - القرطبي - الجامع لاحكام القرآن - سورة مريم

" المقامات : المجالس ، وأحدها : مقامة ، والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه ، يسمى مقامة ومجلسا لأن المستمعين للمتحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن المتحدث يقوم ببعضه تارة ، ويجلس ببعضه أخرى " (1)

ومما لا شك فيه أن أول من استخدم لفظ المقامة بمفهومها الفني الادبي وألبسها حلتها التي عرفت بها فيما بعد هو بديع الزمان الهمداني ، حيث أصبحت المقامة عنده فنا أدبيا قائما بذاته ، لايعني الموضع ولا المجلس أو الجالسين ولا الموعظة أو المسكن، وانما يعني أقصوصة طريفة أو حكاية أدبية مشوقة ، أو نادرة من النوادر العربية يضطرب فيها أبطال ظرفاء يستثرون ملح الادب وعيونه ، ويتبادلو ن الطرف في ابتسام وطلاقة وجه . فالمقامة بعد ظهور فن البديع أخذت مفهوما مغايرا لما كانت تحمله من قبل ، فقد أصبحت تعرف بالاقصوصة أو الحكاية أو النادرة المصبوبة في ألفاظ أنيقة وأسلوب مسجوع .

ومما ذكر نستطيع استخلاص النتيجة التالية :

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 1 / 12

ان لفظ المقامة اشتق من فعل قام ، وهو اسم مكان القيام ، ثم توسع وأصبح كل ما يطلق على ما يقال من خطبة أو كلمة ، أو حديث أدبي، وقد تطور هذا اللفظ حتى صار مصطلحا خاصا بنوع أدبي معين ، هو فن المقامة .

الجملة عند النحويين :

من خلال قراءتنا لأمات الكتب العربية النحوية منها واللغوية ، لانكاد نجد سوى اشارات متفرقة في ثناياها تشير الى الجملة العربية ، مما يدل دلالة واضحة أن علماء العربية القدماء لم يعطوا هذا الجانب من الدراسة حقه من العناية والاهتمام ، كما حدث بالنسبة للفرعيات الأخرى ، حيث انصبت دراستهم أساسا على الأبواب النحوية والصيغ الافرادية ، كالفاعل ، والمفعول ، والمبتدأ ، والخبر ، والمشتقات ، وغيرها .

فعدم وجود دراسة واسعة مفصلة خاصة بالجملة النحوية لايعني أن قدماءنا أهملوا هذا الجانب الهام في الدراسة اللغوية ، فكل ما جاء في مرحلة لاحقة كان نتيجة دراسات سابقة ، قام بها علماء نذروا أنفسهم خدمة لبناء صرح هذا العلم . فكان علما عربيا زاخرا بفنون العبقريات " بناه العرب جيلا بعد جيل يضيفون ويعللون ، حتى أضحى

هـذا العلـم مفخـرة للغـة والعرب معـا " (1) .

كـل مـا في الامـر أن علمـاء العربيـة القـدامى قـد ذكروا تلك القضايـا متنـاثـرة ومتفـرقـة في مـؤلفـاتهـم لايكـاد يجمعهـا بـاب واحـد ولا فصـل مستقـل .

وعلى الرغـم من هـذا فان مـا قـام بـه النحـاة القدمـاء ومـا بذلـوه من جهـد في هـذا الميدان لايخلـو من فـائـدة ، فالى جانب احـاطتهـم بجميـع الـوحـدات التي تـدخـل في تركيب الجملـة ، وضبـط الاحكـام المتعلقـة بكـل منهـا ، وقيـامهـم بدراسـة تحليليـة وصفيـة شاملـة للغـة العربيـة تمكنـوا من الوصـول الى تلك الغـايـة التي وضعـوهـا نصب أعينهـم فحـافظـوا بذلك على سـلامـة اللغـة من جهـة ، وعلى النص القـرآني من جهـة ثـانيـة ، والذي كـان يخشى عليـه من خطـر تفشي اللحـن فيـه (2)

ونتيجـة تلك الدراسـات للغـة العربيـة ، نحوهـا وصرفها وسـائـر علومهـا ، قسـم النحـاة الكلمـات الى مجمـوعـات كبيـرة ، وصنفـوها الى اسم وفعـل وحـرف ، غير منطلقيـن من معنـاهـا فقـط ، بـل وبالاستنـاد الى خصـائـص مميـزة

---

1 - الجملـه النحويـة - ص : 50

2 - الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني - ص : 13 - 14

لكل نوع منها .

فالاسماء والافعال مستقلة بالفهم ، أما الحروف فهي غير مستقلة بالفهم ، وقد انكبت معظم الدراسات النحوية على هذه الاصناف من الكلمات ، ولم يهتموا بالجملة كتركيب مع أنهم يدركون أنها لا تكون من جزء واحد بل تتألف حتما من مسند ومسند اليه ، وهي أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يمكن السكوت عليه لاشتمالها على عنصري الاسناد .

ونحاول تتبع آراء كبار علماء النحو حول تركيب الجملة في اللغة العربية ، ونبدأ برأي سيبويه - واضع أول كتاب في علم النحو - حيث أفرد بابا خاصا في كتابه للمسند والمسنداليه ، قائلا : " هذا باب المسند والمسند اليه وهما لايستغنى عنهما واحد عن الأخر ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو في قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك قولك : يذهب زيد ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الاول بد من الآخر في الابتداء " (1) .

والظاهر في كلامه أنه يوضح كيفية بناء

---

1 - الكتاب - 1 / 23

الجملة حين يتحدث عن الاسناد ، فالشواهد التي ساقها كلها جمل تامة مفيدة ، لايحتاج الى متمم يتم معناها . وما يمكن استخلاصه من كل هذا أن الجملة عند سيبويه عملية اسنادية ، وهذه فكرة سائدة في جميع لغات العالم منذ أقدم العصور ، طبيعة تقوم عليها الجملة العربية ، وقطب دارت حوله كل التعريفات التي وصلتنا حول الجملة .

فالكلام عنده هو الجملة المفيدة فائدة تامة يحسن السكوت عليها ولا يتحقق ذلك الاّ حين يتوفر الاسناد الذي هو أساس الجملة ، فالافادة لاتكون في الفعل وحده لانه يحتاج الى اسم يتعلق به وهو مسند ، والكلام لا يتألف من جزء واحد اذ لا بد من مسند اليه حتى يكتمل الاسناد .

، والعملية الاسنادية قد تتم بواسطة الاسماء دون الافعال ، في حين ان الافعال لايكون بها الاسناد الاّ اذا استعملت مع الاسماء (1)

وقد أشار سيبويه الى ذلك في معرض حديثه عن الاسماء

---

1 ـ الجملة البسيطة في رسالة الغفران ـ ص: 13

والافعال حين قال : " ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم والاّ لم يكن كلاما ، والاسم يستغني عن الفعل تقول : الله الهنا ، وعبد الله أخونا " (1) .

ولم يستعمل سيبويه في كلامه لفظ الجملة بصريح العبارة ، لكن ما ذهب اليه من تفسير وما ساقه من أمثلة لا تختلف عن مضمون الجملة التى أطلقها علماء النحو ، الذين جاءوا بعده . ونجده في مقام آخر يستخدم مصطلح الكلام ، اذ يقول : " هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة ، فمنه مستقيم حسن ومحال مستقيم كذب ، ومستقيم كذب ، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غدا ، وأما المحال فان تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيتك غدا ، وسآتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب ، فقولك : حملت الجبل "(2) .

وسار بعض العلماء على نهج سيبويه في الكتاب ، واستخدموا الكلام الذي يقابل الجملة في اعتقادنا فقد نجد أبا زكريا الفراء أحد علماء الكوفة يطلقمصطلح

---

1 - الكتاب - 1 / 21

2 - المرجع نفسه - 1 / 25 - 26.

الكلام في مواضع متفرقة في كتابه (معاني القرآن) قال : " وقد وقع الفعل في أول الكلام "(1) .

والفعل لا يستقل بدلالته دون الذات ، واذا بحثنا عن الذات وجدناها متصلة بالفعل في تركيبه الأصلي ، وهو ما يطلق الآن الجملة الفعلية ، عندما يقع في أول الكلام .

ونجد المبرد أيضا يذهب مع سيبويه في هذا الشأن غير انه لم يفرق بين الكلم والكلام ، والجملة ، فهو في أثناء تعريفه للكلا م يقول : " فالكلام كله اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى لايخلو الكلام عربيا كان أو أعجميا " (2)

واستخدم المبرد الكلام في حين استخدم سيبويه الكلم ، غير أنهما يلتقيان في مفهوم الكلام العربي الذي لايخرج عن اسم وفعل وحرف . ويظهر أن تعريف سيبويه أكثر دقة من تعريف المبرد ، غير أن هذا الأخير هو أول من استخدم مصطلح الجملة من النحاة في كتابه (المقتضب) ، وقد جاء في أثناء حديثه عن

---

1 ـ الجملة النحوية ـ ص : 25

2 ـ المرجع نفسه ـ ص : 20

الفاعل " هذا باب الفاعل ، وهو رفع وذلك قولك : قام عبد ، وجلس زيد ، وانما كان الفاعل رفعا لانه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت ، ويجب بها الفائدة للمخاطب فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر اذاقلت : قام زيد ، فهو بمنزلة قولك : القائم زيد (1)

فالمبرد قد عرف الجملة اصطلاحا وتحدث عن بنيتها فالفعل لا يستغنى عن الفاعل ، والمبتدأ عن الخبر، كما ذكر أقسامها فان صدرت بفعل كانت فعلية و ان صدرت باسم كانت اسمية ، وان لم يذكر ذلك علانية .

وأول من توسع في استعمال مصطلح الجملة في النحو العربي هم نحاة بغداد ، وفي الوقت نفسه لم يغفلوا مصطلح الكلام ، وقد ظهرت لأول مرة عند هؤلاء النحاة مؤلفات تحمل هذا الاسم ، ككتاب الجمل للزجاجي ويبدو أنه أول كتاب ظهر بهذا الاسم ، وهو كتاب واسع الشهرة ، وقد وصفه القفطي قائلا : " وهو كتاب المصريين وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام الى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني ، والايضاح لأبي علي الفارسي " (2) ، وقد وضع له في المغرب مائة وعشرون شرحا .

---

1 - فتحي علد الفتاح الدجني - المرجع السابق - ص 21
2 - المرجع نفسه ص: 26 -

وهنـــاك كتب أخـــري تلت جمل الزجـاجي ، منهـا على سبيل المثـــال ، الجمل لابن خـالويـــه ، والجمل لابن هشـــام ، والجمـــل للجرجـاني (1) .

وقد ظـــل الكـــلام والجملـــة اصطلاحيـــن لشيء واحـــد ، قال ابـن جني " أمـا الكـــلام فكـــل لفـظ مستقـــل بنفســـه ، مفيـد لمعنـــاه ، وهـو الـذي يسمـــه النحويـــون الجمـــل ، نحو زيـــد أخـوك ، وقـام محمد ، وضرب سعيـــد ، وفي الدار أبوك ، وصـــه ، ومـــه . " (2)

لقد سار ابن جني على نفس النهـج الذي ســار فيـــه سابقوه في خلطهـــم بيـــن المصطلحيـــن ، والذي يفهـــم مـن كـــلام ابن جني أن الكـــلام والجملـــة مترادفـــان ، وقد قصـــر الكـــلام على الجمـــل التـامـــة المفيـــدة ، فالكـــلام يؤدي معنى مفيـــدا مستقـــلا بنفســـه والجملـــة أيضـا

وقد أورد ابن جني أمثلـــة متنوعـــة ومختلفـــة للجملـــة الاسميـــة ، وكـذا الجملـــة الفعليـــة دون الاشارة الـــى التمييـــز بـــهمـــا . وكـل مـا هـو خـارج عـن هـذاالنطاق فقـــد سمـــاه قـولا ، اذ القـول عنـده أعـــم وأشمـــل مـــن الكـــلام ، فالتركيب الذي يضـــم وحـدات كـلاميـــة غيـــر مستقلـــة بمعنى لا تسمى كـــلامـــا انمـا هي عنـــده قولا ، " وأما

---

1 ـ المرجع السابق ـ ص : 27

2 ـ الخصائص ـ 1 / 17

القول فأصله أنه كل لفظ مز ل به اللسان تاما كان أو ناقصا ، فالتام هو المفيد ، أعني الجملة وما كان في معناها ، من نحو : صه ، وايه ، والناقص ما كان بضد ذلك ، نحو : زيد ، محمد ، وان ... فكل كلام قول ، وليس كل قول كلاما " (1) .

فالكلام عنده " هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها " (2) . أما القول عنده لا يستحق هذه الصفة ، وهو يسوق لنا هذا المثال ينجلي الفرق فيه بكل وضوح بين الكلام والقول ، يقول : " فعلى هذا يكون قولنا ، قام زيد كلاما فان قلت شارطا :ان قام زيد ، فزدت عليه (ان) رجع بالزيادة الى النقصان فصار قولا لا كلاما . ألا تراه ناقصا ، ومنتظرا للتمام بجواب الشرط " (3) ,

وسار على هذا النهج صاحب"دلائل الاعجاز" الذي نجده يستخدم مصطلح الجملة بدل الكلم والكلام ، حيث نجده يؤلف كتابا ويطلق عليه اسم جمل الجرجاني ،

---

1 - المرجع السابق - 1 / 17
2 - المرجع نفسه - 1 / 18
3 - المرجع نفسه - 1 / 18

ويبدو لقارئ الكتاب أنه ذهب الى التفسير اللغوي دون الاصطلاحي للجملة ، غير أن هناك اشارة صريحة في نهاية الكتاب الى اصطلاحية الجملة وترادفها بالكلام ، اذ قال : " اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة ، فاذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيد ، سمى كلاما ، وسمى جملة " (1) .

ولم يكتف الجرجاني بالحديث عن الجملة والكلام وترادفهما ، بل يطالعنا بنظرية النظم ، التي يراعى فيها بالضرورة وضع الكلمات في سياق معين من الترتيب والتأليف لتحديد دلالاتها العقلية ومعانيها النحوية ، " فالنظم والتأليف يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الاصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضرب من النقش والوشي "(2) .

فالكلمة المفردة عنده لا فائدة منها الا اذا ركبت وانتظمت مع غيرها ، فالتركيب بالنسبة اليه هو

---

1 - أسرار البلاغة - ص : 8

2 - دلائل الاعجاز - ص : 359

المنطلق الاساسي في الدراسة اللغوية ، فالفعل وحده أو الاسم وحده لا يستشف منهما فائدة ولا مزية ، وانما مما يتألف فيه مع غيره ، فلو جاء المتكلم بفعل مثلا دون تقدير ضمير " لكان ذلك وصوتا تصوت به سواء"(1)

والكلام عنده مؤتلف وغير مؤتلف ، فالاول هو الاسم مع الاسم ، أو الفعل مع الاسم ، اذا جنيت منه فائدة واستنبطت منه معنى ، والثاني هو الفعل مع الفعل الذي لايؤدي معنى . ويوضح هذه الحقيقة عندما نجده يشبه عمل المتكلم بألفاظه كالصائغ مع مادته الخاصة ، اذ يقول " اعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة " (2) .

فالحسن لايكمن في كون القطعة ذهبا أو فضة ، وانما في الاشكال التي تعطى لها ، فالمعنى يصاحب الكلام ولا نجد كلاما بدون معنى ، والاّ كان لغوا أو صوتا يصات به . فالحسن والجمال أمور تخرج عن نطاق الالفاظ وهي تلتمس في ترتيب أمور الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس ، وهي معان ترجع الى الاسناد

---

1 ، 2 - لائل الاعجاز - ص : 316

وخصائص مختلفة في المسند والمسند اليه .

وبهذا يكون أول عالم لغوي يشير الى أن معنى الكلمات لا يعرف الا من ضمّها الى بعضها ، وأن الكلام لا بد أن يشتمل على جزأين .. ومختصر كل الامر أنه لايكون كلام من جزء واحد ، وأنه لابد من مسند ومسند اليه (1) .

فاللغة هي نظام اذن ، لربط الكلمات بعضها ببعض ويقوم ذلك النظام اللغوي على تناسق الدلالات وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل وفقا لمقتضيات دلالاتها ، وهي بذلك تتمكن من القيام بوظيفتها كوسيلة لاتصال الناس ببعضهم .

ونجد الحريري في مطلع القرن السادس الهجري يؤلف كتابا بعنوان (ملحمة الاعراب في صناعة الاعراب) يتعرض فيه الى تعريف الكلام فيقول : " الكلام عبارة عما يحسن السكوت عليه وتتم الفائدة به ، ولا يتألف من أقل من كلمتين " (2) .

---

1 - دلائل الاعجاز في علم المعاني - ص : ش

2 - شرح ملحمة الاعراب في صناعة الاعراب - ص : 2

الكاتب : بلبشير لحسن

العنوان : تركيب الجملة في مقامات الحريري

الرقم : 3 م/ 5 ـ 1 ـ MAG,414.1

سلف يوم	رقم القارئ	أعيد يوم

يؤكد الحريري من خلال تعريفه للكلام أنه لايتألف من جزء واحد ، بل لا بد من اشتماله على جزأين ، هما ما يعرفان بالمسند والمسند اليه ، اللذان يعتبر ان عمدة الكلام ، وبغيرهما لا ينعقد ، ولا تحصل منه فائدة .

وقد استخدم مصطلح الكلام بدل الجملة على غرار ما ذهب اليه السابقون من النحاة في تعريفاتهم المختلفة للجملة أو الكلام ، أو الكلم . وهذا الاختلاف الحاصل في الاستعمال لا يؤثر كثيرا على المعنى المقصود ، بل نستطيع القول ان كل هذه الاستعمالات تسير في الاتجاه نفسه .

ومن العلماء الذين عالجوا موضوع الجملة في مرحلة لاحقة ، قريبة من عهد الحريري نقتصر على ذكر عالمين لما لأبحاثهما من أهمية كبرى في ميدان الجملة العربية . وأولاهما أبو البقاء العكبري الذي يرى أن " الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة ، كقولك : زيد منطلق وان تأتيني أكرمك ، وقم ، وصه ، وما كان نحو ذلك "(1)

---

1 - التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين - ص : 113

فهو يجمع بين الكلام والجملة في معنى مشترك متساوي الاطراف ، فالكلام بالنسبة اليه يطلق على الجملة المفيدة بالوضع ، سواء تركبت من عنصري الاسناد ، أي من الفعل والفاعل ، أو المبتدأ والخبر ، أو من الشرط والجزاء . وهو بذكره الجملة الشرطية يماثل بين الجملة المفيدة افادة تامة لغاية الفهم والافهام والجملة الشرطية لا تتحقق غايتها الا بذكر الجزاء ، فان كان المسند والمسند اليه في الجملة الاسمية التامة هما المبتدأ والخبر ، فان المسند والمسند اليه في الجملة الشرطية هما الشرط والجزاء .

ويتكون الكلام عنده من مجموع شيئين فصاعدا ، أما الكلمة اللفظة المفردة ، " وان أريد بالكلمة الجملة المفيدة فان وقعت الكلمة على الجملة جاز أن يقع الكلام على المفرد نحو قوله تعالى : " تمّت كلمة ربك صدقا وعدلا " (1) .

المقصود بالكلمة في هذه الآية الكلام وهو تعبير مجازي ، ودليل المجاز ظاهر ، لأن كلمة الله لاتتحقق في لفظة واحدة ، وانما يتصور فيما هو خبر ، والخبر

---

1 - المرجع السابق - ص : 119

لايكون مفردا . والكلمة المفردة لا يمكنها أن تخضع لتأثير لغوي الاّ بانضمامها الى غيرها ، " وعزل الكلمة عن غيرها يؤدي الى فقدان المعنى ، ولا يمكن أن تحدد معنى الكلمة الاّ من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من ألفاظ " (1) .

أما ابن هشام فقد أشار اشارة واضحة لاصطلاحية الجملة في دراسة مفصلة واسعة خالف بها تعريفا واعرابا وتقسيما النحاة الذين سبقوه ، بحيث ارتسم اتجاهين واضحين في مفهوم الجملة النحوية وتقسيمها واعرابها .

فقد أفرد في كتابه (مغني اللبيب) بابا خاصا للجملة ، تعرض في بدايته الى التفرقة بين مصطلح الجملة ومصطلح الكلام . فالكلام في رأيه يمكن السكوت عليه اذا جنيت منه فائدة ، أما الجملة فهي " عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد ، أو المبتدأ وخبره ، كزيد قائم ، أو ما كان بمنزلة أحدهما نحو : ضرب اللص ، وأقائم الزيدان ، وكان زيد قائما ، وظننته قائما"(2)

---

1 ـ الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ـ ص : 86 ـ 87

2 ـ مغني اللبيب ـ ص : 490

وبهذا يظهر لنا أنهما ليس مترادفين ، كما يتوهمه كثير من الناس ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فانه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال : " ويسمى جملة ، والصواب أنها أعم منه ، اذ شرطه الافادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدا ، فليس بكلام " (1) .

فابن هشام يثير مشكلة جديرة بالدراسة والاعتبار فبعد أن رأى تعريف علماء النحو ناقصا ليس جامعا ولا مانعا ، انما فيه تباين في الآراء ، وخلط في الاستعمال بين مصطلحي الجملة والكلام ، وعلى هذا الاساس قدم دراسة ميدانية واسعة تخص الجملة وصل فيها حسب رأينا الى تحديد القاعدة العلمية للجملة ، بعدم ترادفها لمعنى الكلام . وهي نتيجة مغايرة لما قد ذهب اليه النحاة الذين سبقوه في اطلاق الجملة على الكلام كونهما مترادفين .

وعلى العموم فقد تحدث عن الجملة النحوية لغويا واصطلاحا علماء كثيرون ، منذ سيبويه ، وأفردوا لها في مؤلفاتهم أبوابا وأقساما ، وذكروها في سياق كلامهم ومع ذلك يمكن القول انها لم تنل حظا وافرا من

---

1 - المرجع السابق - ص : 490

الدراسة المفصلة الشاملة ، كما أن النحاة القدماء استخدموا مصطلحات لايمكن اغفالها من الدرس النحوي تدور في فلك الجملة ، كالكلام والكلم والكلمة والقول غير أننا لمسنا في آرائهم تباينا وتضاربا ، فقد بينوا الفوارق الحاصلة في المعاني ووظيفة كل مصطلح، وظلت هذه الآراء محل خلاف دون تحديد مفهوم شامل ومتكامل .

ولم يقتصر الاختلاف عند هذا الحد ، بل قالوا ان الكلام خبر وطلب وانشاء وزاد بعضهم الى أن وصل الى عشرة أنواع (1) ، وحصره بعضهم في الخبر والانشاء ، اذ كلها ترجع اليهما (2) .

وقسمت الجملة من حيث تركيبها الى أقسام ، فان بدئت بفعل سميت جملة فعلية ، وان بدئت باسم سميت جملة اسمية ، وان بدئت بظرف سميت ظرفية ، وان بدئت بشرط سميت شرطية . وهذه قسمة أبي علي الفارسي : " وأما الجملة التي تكون خبرا فعلى أربعة ضرب : الاول أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل ، والثاني أن تكون

---

1 - همع الهوامع وجمع الجوامع- 1 / 12

2 - شرح شذور الذهب - ص : 32

مركبة من ابتداء وخبر ، والثالث أن تكون شرطا وجزاء، والرابع أن تكون ظرفا " (1) .

وسار في ذلك الجرجاني ومن تبعه ، بينما نجد آخرين ينفون الجملة الشرطية ويبقون على الانواع الاخرى .

فأنواع الجمل أربعة عند بعض العلماء وثلاثة عند بعض آخر ، وعند جمهور النحاة اثنتان ، فعلية واسمية : " فقد حصل لك أربعة أضرب من الجمل وهي في الاصل اثنتان ، الجملة من الفعل والفاعل ، والجملة من المبتدأ والخبر " (2) .

وهكذا فقد اختلف علماء النحو في مسائل شتى حول الجملة النحوية وتحديد مفهومها وأقسامها واعرابها . غير أن اختلاف العلماء في مفهوم مصطلح الجملة ومصطلح الكلام لم يكن اختلافا كليا ، بل هناك قدر مشترك بينهم ، وهذا ما يمكن حصره في النتيجة التالية :

1 - لقد أجمع علماء النحو ان الجملة أو الكلام ،

---

1 - المقتصد في شرح الايضاح - 1 / 273
2 - الجملة العربية - ص : 150

لا يتألفان من جزء واحد ، اذ لابد أن يشتملا على الاقل على كلمتين

2 - كل منهما يجب أن يتوفر على مسند ومسند اليه ، وبغيرهما لا يستقيم كلام ، ولا تتحقق فائدة

3 - أما الفرق الحاصل بينهما (الجملة والكلام) فيعود الى أن بعض العلماء يرى أن الكلام أعم من الجملة ، ويطلق على المفيد وغير المفيد .

الجملة عند البلاغيين :

ان علماء النحو العرب ، وان كانوا قد بذلوا مجهودات جبارة في مجال دراسة اللغة ، فان الجانب التركيبي للجملة لم يحظ من تلك المجهودات فيما نعلم الاّ بشئ يسير ، ان بناء الجملة من حيث التقديم والتأخير والحذف ، وكذا الاثبات والنفي والاستفهام والتوكيد لم يولوها العناية الكافية ، واكتفوا بالاشارات الخفيفة في الحالات التي تكون فيها ذات صلة بالاعراب .

فبالاضافة الى هذه الجهود التي قدمها النحاة في ميدان الجملة من وجهات نظر مختلفة فقد أدرك هذا النقص علماء البلاغة ، ولهذا فلايمكن اغفال جهودهم في بحث قضايا أصول الجملة ، والكشف عن عناصرها المختلفة ، حيث عنوا بدراستها نحويا وبلاغيا ، وانصبت اهتماماتهم بالمعنى أكثر من اهتمام النحويين به ، اذ لايصح التفكير في معنى فعل مجرد دون اعماله في اسم ، ولا في معنى اسم مجرد دون اعمال الفعل فيه .

فمعاني أجزاء التركيب لا يمكنها أن تكون منفردة ومجردة عن معاني النحو (1) .

لقد تناولوا الجملة من جوانب عديدة من حيث التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والقصر والفصل والوصل والاطناب والايجاز ... فكل ما ذهبوا اليه يدور في فلك المعنى لانه بحث في الاساليب ، وهذا ما جعلهم يتجاوزون الاركان الاصلية للجملة ، وأولوا العناية والاهتمام بكل جزء في التركيب .

وقالوا الكلام خبر وطلب وانشاء ، وزاد بعضهم أنواعا أخرى ، ثم رأوا أنه ينحصر في الخبر والانشاء ، اذ كلها ترجع اليهما (2) .

وقالوا الجملة الخبرية والجملة الانشائية ، وهذا المنطلق لايمكن اغفاله في البحث اللغوي ، ولا سيما في دراسة الجملة وتنوع علاقتها الاسنادية ، وبروز وظيفة الاسناد التي تسم الجملة بسمة تجعله يميل نحو الاثبات أو النفي أو التوكيد أو الاستفهام أو النهي ...

---

1 - التقديم والتأخير عند النحاة - ص : 19

2 - الجملة العربية ص : 149

وقد عرّف اللغويون الاسناد بأنه ضمّ كلمة الى أخرى على وجه الانشاء أو الاخبار (1) ، وما زاد على المسند والمسند اليه غير المضاف اليه ، و صلة الموصول ، فهو قيد ، والقيود عندهم هي : المفاعل الخمسة : المفعولبه - المفعول المطلق - المفعول لاجله - المفعول معه - المفعول فيه . وأيضا التوابع الاربعة : البدل - العطف النعت - التوكيد . ومنها أيضا الحال والتمييز وأدوا ت الشرط ، وأدوات النفي ، والافعال الناسخة (2)

جلبت الجملة اهتمام الباحثين منذ القدم ، وبخاصة الدراسات البلاغية ، فهم لم يهتموا باللفظة مفردة وانما درسوها في تعلقها بغيرها من الالفاظ الاخرى، وتغير معانيها تبعا لاحوالها السياقية والاعرابية . ولم يتوقف اهتمامهم عند هذا المستوى بل تعرضوا الى جوانب أخرى لها أهميتها اللغوية ، كالعامل الصوتي والموسيقي ومصاحبتهما للالفاظ والجمل ، فالجانب الصوتي له أهميته القصوى ، ومن خلاله نستطيع تفسير كثير من الاساليب العربية التي قد لا تخضع

---

1 - الجملة العربية - ص : 149

2 - علم المعاني - ص : 132

للأسس النحوية التركيبية كالنداء ، والتحذير ، والتخصيص ... فهي أساليب لا تسير وفق قواعد معينة كما أنها لا تحتمل التقدير والتأويل لأن ذلك يخرجها عن طبيعتها الى صورة بعيدة عنها ، الأمر الذي أدى ببعض الباحثين الى الحديث عن التنغيم باعتباره يفسر الكثير من الاساليب التي لا تخضع للقاعدة

واضافة الى ما ذكر قسموا الجملة الى قسمين: اسمية وفعلية ، وجعلوا لكل قسم أعراضه البيانية ومميزاته البلاغية . وذكروا التقديم على نية التأخير ، وكذا التقديم لا على نية التأخير، وقد فرقوا بين الخبر الذي هو شريك المبتدأ في الجملة وجزء منها ، والذي لايمكن الاستغناء عنه ، ويكون حذفه بدليل يدل عليه يفهم من سياق الكلام وقرائن الاحوال . أما الخبر الذي ليس جزءا من الجملة فلا يصح حذفه لانعدام الدليل عليه .

وقد تعرضوا أيضا لفكرة التعريف والتنكير وأثرهما في تحديد المعني ، كما وكيفا ، غير انه لا يمكن الوصول الى اليقين في الابانة على خصائص التعريف والتنكير مالم نرد ذلك الى ما ذكره النحاة عندما

حاولوا الكشف عن أسرار اللغة في التعبير والمقاصد في البيان ، ولاشك في أنهم كانوا أعرف الناس بتلك الاسرار ، وأقوى ادراكا لها ، وقد جاء ذلك واضحا في كتاب سيبويه وكتب معاني القرآن على اختلاف نزعات أصحابها النحوية (1) .

فقد اتجهت عناية البلاغيين بالمعنى ، كما ذكرنا ، وانصبت نظرتهم على موضوع التركيب وأنواعه من اثبات الى نفي الى استفهام ... " لا على طريقة النحاة من التركيز على الادوات والمكونات الاخرى ، ونسبة المعنى اليها ، وانما عن طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة الاسلوب ، وصفه وطرق التعبير به وما فيه من ايجاز واطناب ومساواة ، وما فيه من وصل وفصل وقصر وتقديم وتأخير ، مما اعتبره النحاة خارجا عن اهتماماتهم " (2),

غير أن هذه الدراسة التي اهتم بها البلاغيون والمتعلقة بالمعاني المختلفة التي قد تحملها الاساليب هي دراسة وظيفية في صميم التركيب ، ومما يلاحظ عنها أنها " تبدو أكثر صلة بالنحو منها

---

1 - المدخل الى دراسة البلاغة العربية - ص : 181 - 185

2 - اللغة معناها ومبناها - ص: 18

بالنقد الادبي الذي أريد به خطأ أن تكونه . فالنحو العربي أحوج ما يكون الى أن يدعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني "(1) وهو في نظر بعض النحاة يعتبر قمة الدراسة النحوية وفلسفتها (2) .

وحين تعرض علماء البلاغة الى عناصر التركيب في الجملة واعتبروا المسند والمسند اليه ركنيها الاساسيين فتحدثوا عن الاغراض البلاغية التي قد تلحقهما ، وتكلموا عن متعلقات الفعل وبينوا المعاني المقصودة من تقديم المفعول به أو توسطه أو تأخره ، وكذلك بالنسبة لتقديم الظرف وتأخره ، ومتى يحذف كل منهما.

وقد اتجهت دراسة الجملة نحو التطور عندما اهتم علماء البلاغة بها ، وفي كل ذلك لا تكاد تخرج الجملة عن نحويتها وبلاغيتها . فان كان النحو يتجه أساسا الى المبنى ، فالبلاغة تتجه أساسا الى المعنى ، ولايمكن بأي حال من الاحوال فصل المبنى عن المعنى

---

1 - المرجع السابق - ص : 18

2 - المرجع نفسه - ص : 18

وقد أدركوا أن اللغة العربية تمتاز عن غيرها بكثرة حروف العطف ، فتحدثوا عن الفصل والوصل بين الجمل ، وقد عرف البلغاء الوصل بأنه عطف بعض الجمل على بعض بالواو . وقد جعلوا للوصل والفصل أصولا تبناها البلغاء الخالفون ، ومنها أن العطف بالواو يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وكذلك اذا اجتمعت الجملتان على معنى واحد أو اقترنت من الاشتراك فيه وجب فصلهما ، كذلك الامر اذا اختلفتا من ناحية الصيغة (1) .

والجملة عند البلاغيين لا تكاد تقف عند رصف الكلمات ورعاية جرسها وائتلافه ، وانما يضاف الى هذا كله قضية الفكر والمعاني التي تدور فيها ، وكيف يستطيع الاديب أو اللغوي البارع أن يؤلف بين هذه المعاني على نحو لم يكن قد سبقه اليه أحد ان كان من ذو ي الاصالة والابتكار ، أو على الاقل يؤلف بين الموروث بحيث يؤدي هذا التأليف الى توليد صورة فنية جديدة لا تلمح فيها الا آثار مادة موروثة (2) .

ولم يهتم أهل البلاغة باللفظة مفردة لأنهم

---

1 ـ المدخل الى دراسة البلاغة العربية ـ ص : 189 ـ 190

2 ـ المرجع نفسه ص: 193

يرون أن الحسن في اللفظة لا يتم لها مفردة دون أن تركب مع غيرها من الكلمات التي تكسبها الحسن والجمال فلا يستطيع أحد أن يحكم على كلمة بأنها فصيحة ما لم يحدد مكانها من التركيب " فلا معنى لهذه العبارات وسائر ما تجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية اليه دون المعنى "(1)

فالمزية الظاهرة والفضيلة القاهرة التي تحدث عنها الجرجاني تعود الى ارتباط هذه الكلمات بعضها ببعض ولم يعرض لها الحسن الاّ من حيث لاقت اللفظة الاولى بالثانية والثالثة وهكذا .... الى أن تستقر بها الى آخرها ، والفضل والفصاحة حاصل في مجموعها ، وقد تكون الكلمة الواحدة نابية في موضع ، قلقة فيه مأنوسة في موضع آخر مستقرة فيه " (2) .

درست الجملة اذن في حالتي انفرادها واتصالها بغيرها ، دون اغفال قواعد النحو فيها ، فعرضوا لأهمية حروف العطف وللتقديم والتأخير وأوجهه وأسبابه ، وللحذف ، كحذف المبتدأ أو المفعول به ، أو حذف الواو من الجملة الحالية ، وأسباب الحسن في حذفها حينا وذكرها حينا آخر ... وكذا البحث في

---

1 - دلائل الاعجاز - ص : 31

2 - موجز في شرح دلائل الاعجاز - ص 42

قيمة الايجاز والاطناب والفصل والقصر وطرقه ، والفروق المعنوية بينها ، والتغيرات التي تحدثها متعلقات الفعل في معنى جزئي الجملة ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وفروق الخبر ومجيئه بالالف واللام ، وما لكل ذلك من أثر في بلاغة الاسلوب وروعته (1)

وما أخلص اليه أن البلاغيين تناولوا الجملة من جوانب تركيبية متنوعة " من اثبات الى نفي ، لا على طريقة النحاة من التركيز على الادوات وانما على طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة أسلوبه وطرق التعبير به وما فيه من ايجاز واطناب وتقديم وتأخير . والواقع أن هذه الدراسة للمعنى تبدو أكثر صلة بالنحو منها بالنقد "(2)

وهذا باختلاف النحاة الذين درسوها على أساس أنها مجموعة كلمات تكوّن علاقة نحوية تتحدد وظيفة كل كلمة من خلال حالتها وحركتها الاعرابية .

فالعلاقة وطيدة اذن بين ركني دراسة النحو والبلا غة ،فلا معنى بدون النظر الى كيفية التعبير عنه ، فعلم المعاني الذي يعد من مشمولات الدراسة البلاغية هو في حقيقة الامر من صميم الدراسة النحوية .

---

1 ـ في تاريخ البلاغة العربية ـ ص : 252 ـ 253
2 ـ اللغة العربية معناها ومبناها ـ ص: 16

الفصل الاول

تركيب الجملة في مقامات الحريري

دراسة نحوية

مممممممم

تمهيد : الجملة تركيبا واعرابا عند اللغويين

أنواع الجمل :

1 - الجملة البسيطة

2 - الجملة المركبة

3 - الجملة الخبرية (المثبتة ، المؤكدة ، المنفية)

4 - الجملة الانشائية :

1 - الجملة الندائية

2 - الجملة الاستفهامية

3 - جملة القسم

4 - جملة الامر والنهي

الجملة تركيبا واعرابا عند اللغويين

التركيب علم يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة ، وحركة العناصر وانسجامها في سياق ظريف وتلاؤمها في نطاق تام مفيد ، تتلاقى فيه المعاني وتتناسق الدلالات على أساس العلاقات التي تؤلف وحدة متكاملة لها افادتها اللغوية والنحوية .

فالتركيب اللغوي ، بمفهومه الحالي لم تكن له مكانة بين الدراسات اللغوية في القديم ،ان علماء اللغة بذلوا مجهودات جبارة لاسبيل الى نكرانها في مجال دراسة اللغة ، الا أن الجانب التركيبي للجملة لم يحظ الاّ بشئ يسير . ولعل أول من أدرك هذا النقص عبد القاهر الجرجاني فخص جزءا من كتابه (دلائل الاعجاز) لفكرة النظم ، وهو يقصد به التركيب ، ويختص هذا الجزء بالبحث في العلاقات المعنوية بين الابواب النحوية ، وهي من أخص خصائص التركيب اللغوي ، غير أن هذه الرؤية الجليلة لم يشأ لها النمو والاهتمام ، وظلت يتيمة ، لم يتابع فيها .

ونعود الى فكرة النظم ، والتي قلنا انها تعني التركيب في المفهوم الحديث ، فالجرجاني كان يرمي من خلالها الى اقتفاء آثار المعاني ، وترتيبها في النفس ، وهو عنده نظير التأليف والبناء ، فالكلام ليس مجرد رصف الكلمات بعضها الى بعض ، ولكن ذلك يكمن في العلاقات بين وحدات التركيب في أثناء التركيب والتأليف بين معانيها في نسق العلاقات ، يبلورها في شكل نظام لغوي مستقل ، حيث يقول : " واعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لايعترضه ، أن لا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب تلك " (1) .

فالنمط الرفيع من الكلام لا يحدث الا باتحاد أجزاء الكلام وادخال بعضها في بعض ، وأن يشتد ارتباط ثان منها بأول ، " فالكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر ، لها نظامها وعلاقاتها الداخلية " (2)

ويؤكد الجرجاني أن عملية النظم ليست شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم " وتلاؤم الاجزاء

---

1 ـ دلائل الاعجاز ـ ص : 76

2 ـ التركيب عند ابن المقفع ـ ص : 13

في الجملة تلاؤم الحروف والحركات في الكلمة الواحدة (1)

فالكلام في اللغة العربية تكوين ، له شكله العام، ولهذا التكوين أجزاؤه ، ومكوناته ، ولا تكون هذه المكونات جزئيات مستقلة في شكل كلمات فقط ، بل يجب أن تكون جزئيات مركبة داخل نظام من العلاقات اللغوية والنحوية ، وهو بالاضافة الى ذلك ما تركب من مسند ومسند اليه . وهذا تحديد عام اتفقت عليه جميع لغات العالم ، والبنية التركيبية مكونة من وحدات أصغر منها ، هي الكلمات تشكل هيئات تركيبية ، لها علاقات ترابطية تسري في عناصرها (2)

فالجرجاني حين تعرض للحديث عن اللفظ والنظم، أشار الى أن الالفاظ قبل دخولها في التأليف ، " لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها هذه الفضيلة ، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وانك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر " (3)

---

1 - الاصول - ص : 138
2 - يراجع : الموجز في شرح دلائل الاعجاز - ص : 32
3 - دلائل الاعجاز - ص: 38

فالتركيب المفيد لا بد أن يخضع لعدة عمليات قبل أن يستقر في شكله النهائي ، بحيث يكون في أول الامر مجرد معان متزاحمة في نفس الفرد ، الذي يقوم بعملية تنسيق داخلي بينها ، ثم يبحث لها عن الكلمات المناسبة لها ، وأخيرا يمنحها الاصوات التي تؤديها وتعطيها طابعها الفيزيائي ، والفائدة من هذا النظام هو أن تتوالى الالفاظ في النطق وتتناسق في الدلالة ، وتتلاقى في المعاني على الوجه الذي يقتضيه المنطق ، لأن اللغة موضوعة أساسا للفهم والافهام ، فالفرد حين يتكلم يرتب كلماته على حسب معانيها في نفسه .

كما لا يمكن دراسة علم التركيب بمعزل عن النحو، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو ، فاذا أهملت هذا الجانب الهام " لم تكن صنعت شيئا تدّعى به مؤلفا " (1)

ومما ينبغي أن يعمله الانسان أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلام افرادا ، أو مجردة من معاني النحو ، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر

---

1 - دلائل الاعجاز - ص : 283

في معنى فعل من غير أن يريد اعماله في اسم ، ولا أن يتفكر في معنى اسم ، من غير أن يريد اعمال فعل فيه وجعله فاعلا له ، أو مفعولا ، أو يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة ، أو حالا ، أو ماشاكل ذلك " (1) .

لو جئنا مثلا بأي كلام وأزلنا أجزاءه عن مواضعها، ولم نراع في ذلك وضع الكلمة الى جانب أختها حتى تأخذ مكانها من السياق ، ووضعناها وضعا يمتنع دخول معاني النحو فيها ، لما تعلق منك فكر بمعنى كلمة ، لانها مجردة من معاني النحو . فالنظرية اللغوية التي وضعها عبد القاهر الجرجاني في القرن الحاديعشر الميلادي ، قد أتت بنفس الاسس والمبادئ التيقامت عليها الدراسات اللغوية الحديثة بالنسبة للتركيب ، وبذلك فهي تمثل اتجاها متطورا في علم اللغة العام الحديث .

لم يكن التركيب بمفهومه الحديث يحتل حيزا من الدراسات اللغوية عند علماء العرب القدماء ، ولم يعطوا هذا الجانب حقه من العناية والاهتمام ،

---

1 - دلائل الاعجاز - ص : 314

كما سبقت الاشارة الى ذلك ، غير أن دراساتهم لم تكن موجهة الى طبيعة الجملة وبحث عناصرها المكونة لها على أساس العلاقات التى تؤلف بينها في وحدة متكاملة ، وانما انصبت اهتماماتهم على معالجة الاجزاء منعزلة لطريقة مستقلة داخل نظام لغوي شائك دون محاولة لتفكيك الوحدات المكونة لهذا النظام ، ولم يكترثوا لبحث العلاقات التي تجعل منه نظاما قائما بذاته .

ولم تكن اشاراتهم للجملة الاّ اذا قدرت بالمفرد واستخدمت في موضعه ، وقامت مقامه ، وقد قال بذلك ابن هشام في معرض حديثه عن الجمل التي لا محل لها من الاعراب " وهي سبعة ، وبدأنا بها لانها لم تحل محل المفرد " (1) .

ولم نجد في أشهر مصنفات النحو ، كالكتاب وغيره أبوابا ولا فصولا خاصة بدراسة الجملة من حيث أنواعها وعلاقة عناصرها ، ومختلف وظائفها ، وهذا لا يعني أن جميعها خالية من كل اشارة الى

1- مغني اللبيب - ص : 500

الجملة أو التركيب ، غير أن الجملة رهينة دراسة الاجزاء المنفصلة ، ولا يكترث لها الاّ اذا عوضت المفرد وقدرت به .

ولا يعني هذا أننا نريد الانتقاص من المجهودا ت المضنية التي سخرها أولئك اللغويون العظام وكرسوا حياتهم في سبيل خدمة التراث العربي ، والحفاظ على النص القرآني ، وما قدموه من نتائج جليلة جعلتهم يحيطون بجميع الوحدات التي تدخل في تركيب الكلام ، وضبطوا الاحكام العامة المتعلقة به . " وهذا يعني أنهم درسوا بدقة كل الابواب النحوية التي هي لب الكلام وأساس بناء الجملة الصحيحة "(1)

ان الكلام لايمكن أن يتألف من جزء واحد ، بل لابد أن يشتمل على جزأين في أقل تقدير ، " وهذا يعني أن اللغة نظام لربط الالفاظ وفقا لمقتضيات دلالاتها العقلية ، وبفضل ذلك النظام تتمكن اللغة من القيام بوظيفتها الاساسية كوسيلة لاتصال بين الناس "(2)

---

1 ـ الجملة الفعلية البسيطة ـ ص : 12

2 ـ الموجز في شرح دلائل الاعجاز ـ ص : 32

فالكلام تركيب والتركيب لاتتمّ فائدته الاّ بتوفر عنصرين على الاقل ، وهذا شرط أساسي فيه ، وله أهميته في بحث بنية التركيب اللغوي . وللجملة في نظر النحاة ركنان : المسند والمسند اليه ، ولايتضح المعنى الاّ اذا توفرت عليهما ، فهما ركنان أساسيان اذ بدونهما لا يسمى الكلام كلاما ، فالمبتدأ في الجملة الاسمية مسند اليه ، والخبر مسند ، وأمّا في الجملة الفعلية فالفاعل أو نائبه مسند اليه ، والفعل مسند ، وكل عنصر منهما عمدة في التركيب ، لاتقوم الجملة الاّ به ، وما عداهما فهو فضلة يمكن أن يستغنى عنه التركيب . وقد اهتدى الى هذا القانون الاسنادي أول الامر سيبويه ، وقد ظل هذا القانون المعيار الاساسي في فهم الجملة عند النحاة (1) .

فقد ذكر سيبويه في باب المسند والمسند اليه من الكتاب أن المسند والمسند اليه " لايغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم

---

1 - يراجع : علم المعاني - ص 132

كما لم يكن للاسم الاول بد من الآخر في الابتداء ، ومما يكن بمنزلة الابتداء قولك : كان عبد الله منطلقا ، وليت زيدا منطلق ، لان هذا يحتاج الى ما بعده كما يحتاج المبتدأ الى ما بعده " (1) .

ان المبني عليه تعبير أطلقه سيبويه على الخبر وهو يحمل فكرة الاسناد ، لان الذي يبنى على شئ يشترط أن يكون هذا الشئ أساسا له حتى يسند اليه .

صار علم التركيب يعنى بدراسة علاقات النظام اللغوي عند علماء اللغة المحدثين وفحص بنيته على مستويين: " المستوى السطحي الدال ، والمستوى العميق المدلول ، وطريقة الربط بينهما " (2) . وبدراسة العلاقات بين الوحدات التركيبية للجملة " يتهيأ فهم تشكل هذه الوحدات في بنية متراصة ومتماسكة نحويا ودلاليا"(3)

فالدراسات اللغوية القديمة قد خلت من مثل هذه النظريات التي نرى علماء اللغة يطبقونها في أبحاثهم

---

1 - الكتاب - 1 / 23
2 - الجملة الفعلية البسيطة - ص : 45
3 - المرجع نفسه - ص : 45

حتى يتسنى لهم الفهم الصحيح لمختلف الابنية التركيبية للغة العربية في أساليبها المتنوعة .

لقد أدرك المحدثون أن التركيب اللغوي يخضع الى نظام وقواعد معينة كالذكر والاظهار والوصل والربط، الى جانب الرتبة والعامل ، وبفقد عنصر من هذه العناصر ينحرف التركيب عن مبادئه ويضيع معناه .

فالكلام - في نظرهم - تركيب من مجموع الالفاظ المفيدة بالوضع ، أي المفيدة بأصل وضعها ، لان الاصل في وضع الكلام أن يكون لفائدة ، فان لم نراع نمطا معينا في وضع الكلام ، وغيّرنا رتب الكلمات وعلاقاتها دون مراعاة نظام لغوي معين لما تمت الفائدة ، ولوجئنا بمثال : " أُرِيدُ أَزْهَى رَاكِبٍ عَلَى مَرْكُوبٍ " (1) ،وأحدثنا تغييرا على مستوى التركيب ، مثل : مركوب راكب أزهى على أريد " لذهبت الفائدة ، لاننا ، ببساطة لم نراع تركيب العناصر في الجملة بأن يكون الفعل قبل الفاعل ، والى قبل المجرور ، ومن ثم ارتبكت العلاقات في السياق ، وضاع المعنى بسبب تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير (2)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 64

2 - يراجع : الاصول - ص : 138

يتمّ التركيب اللغوي بتناسق الدلالات وتلقي المعاني على الصورة التي يقبلها العقل ، وليس الغرض منه رصف الالفاظ الى جانب بعضها بشكل يختل فيه النظام .

وفي ضوء الدراسات اللغوية المختلفة تفطن علماء العرب المحدثون الى جوانب هامة في بناءالجملة حين تطلعوا على الدراسات اللغوية الغربية بعد ظهور المناهج العلمية الجديدة ، فلم تعد نظرتهم مقتصرة على معالجة عنصر الكلام منعزلا بل تعدته الى حركة الكلمة في سياق من الكلام داخل نظام من العلاقات ، يتلاءم فيه العنصر الانفرادي مع غيره في نطاق تركيب تام له افادته النحوية .

وقد ركزوا في مختلف مؤلفاتهم على نوع من العلاقات التي تربط الكلمة المحورية بما حولها من الاسماء والافعال ، كعلاقة الفعل بفاعله ، والفعل بمفعوله والفعل في هذا المقام بمثابة المحور الذي تتعلق به مختلف عناصر التركيب (1) .

ومهما عرفت الدراسات الغربية من تطور ملحوظ في

---

1 - يراجع : الجملة الفعلية البسيطة - ص : 25

ميدان الدرس اللغوي ، فان الدراسات التي أبداها بعض نحاة العرب حيث اهتدوا الى نظريات هامة جديرة بالاهتمام ، لاتزال تحظى بالتقدير بين النظريات الغربية في ضوء الدراسات الالسنية الحديثة (1) .

لقد نظر علماء الغرب الى علم التركيب بنفس نظرة العرب ، فالجملة عندهم تركيب مبني على قواعد متعارف عليها ، تختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر المكونة لها . والتركيب في منطق اللغة تركيب في حكم الكلمة الواحدة وحذف جزء منها يجعل الكلمة غريبة لا معنى لها .

لم تعد لعلم التركيب تلك الوظيفة القديمة التي كان يقوم بها في دراسة الاجزاء المنفصلة باستقلالية تامة ، وانما أصبح قي ضوء الدراسات الالسنية الحديثة يختص بدراسة بنية الجملة وتركيبها ، وتحديد نوعية العلاقات الناظمة لها (2)

وتكون دراسة اللغة في " حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة " (3).

---

1 - يراجع : الموجز في شرح دلائل الاعجاز - ص : 133
2 - = : الجملة الفعلية البسيطة - ص : 35
3 - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص : 29

فالتركيب اللغوي يمر حتما بجملة من التحويلات قبل أن ينتهي الى صورته الصوتية المحسوسة التي يقبلها الفرد ، بعد مراعاة المعنى في ترتيب الكلمات والمطابقة بين الاسماء والافعال والضمائر .

يمكن القول ان هناك عوامل مشتركة بين النظريات اللغوية التي توصل اليها العرب ، والنظريات اللغوية الحديثة ، وهذا ما يدل على أن العبقرية العربية تضاهي أحدث النظريات التي توصل اليها علم اللغة الحديث

واذا كان التركيب علما يختص بدراسة العلاقات القائمة بين المفردات داخل سياق الكلام ، حسب ما تقتضيه الاحكام العامة للغة ، ولكن لا معنى له وان بلغ الغاية من الوضوح والظهور بمعزل عن النحو فان أهملت هذا الجانب المهم في اللتركيب " لم تكن صنعت شيئا تدعي به مؤلفا " (1)

والنحو عند النحاة هو الاعراب حيث بنوا نحوهم على قرينة واحدة هي العلامة الاعرابية (2) ، وقد نجد في كثير من كتب النحو واللغة اختلاط المفهومين اختلاطا بينا ، حتى أن النحو يسمى اعرابا ، والاعراب يسمى نحوا . فقد استعمل الجرجاني عبارة " لاعلم له بالاعراب " ولم يقل : لاعلم له بالنحو ، مما يدل على

دلائل الاعجاز - ص: 283

2 - مدخل الى دراسة الجملة العربية - ص : 72

أن مفهوم الاعراب عنده هو النحو (1)

وقد جاء في شرح المفصل (لابن يعيش) ما يدل على أ ن النحو والاعراب لهما مفهوم واحد " الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الاعر اب " (2)

والسبب في هذا الخلط بين المصطلحين يرجع في رأي الدكتور سليمان ياقوت " الى أن الاعراب كان سببافي نشأة النحو ، فسمي باسمه ، واستأثر الاعراب باهتمامهم وأصبح المحور الذي يدور حوله النحو وغيره من الدراسات اللغوية " (3)

فالاعراب اذن " من العلوم الجليلة عند العر ب ، ولولاه لما استطاع أحد أن يفرق بين المعاني المتقاربة فياللفظ أو يقف على معنى ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد " (4)

---

1 ـ ظاهرة الاعراب في القرآن الكريم ـ ص : 16
2 ـ شرح المفصل ـ ص : 8 ـ ج1
3 ـ ظاهرة الاعراب في القرآن الكريم ـ ص: 16
4 ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ 1 / 328

اتفقت آراء اللغويين الذين تعرضوا للاعراب على مدلول مشترك هو الابانة أو الافصاح " ثم ان النحويين لما رأوا في أواخر الاسماء والافعال حركات تدل على المعاني ، وتبين عنها سموها اعرابا"(1)

ويرى ابن جني أن الكلام لا يكون بينا الا بعد أن تراعى فيه ضرورة الاحكام النحوية والوظائف اللغوية . فالحركة الاعرابية لا تقوم بنفسها ولاتوجد الا في حرف ، وأن الحرف لا يوجد الا متعلقا بكلمة ، والكلمة لاتؤدي معنى ولا تجنى منها فائدة الا برصفها الى جانب أختها في ترتيب تقتضيه العلاقات اللغوية ،البلاغية منها والنحوية .(2)

تكلم الناس على سجيتهم بغير اعراب ولا معرفة منهم به ، ومع ذلك لم يجدوا صعوبة في الفهم والتفاهم لكن بعد اختلاطهم بغيرهم دبّ الفساد الى لغتهم فكان أمرا طبيعيا من تقعيدها . ونسجل هنا موقف أبي القاسم الزجاجي المتعقل حين بين ضعف تفكير الذين يطالبون بتسكين الكلمات والاستغناء عن الحركات الاعرابية وقصر نظرهم ، وأوضح أهمية الاعراب ، بو صفه قانونا يحافظ على سلامة اللسان العربي الفصيح (3) .

---

1 - الايضاح في علل النحو - ص: 91
2 - الخصائص - 1 / 35
3 - الايضاح في علل النحو - ص : 95

ونجد عبد القاهر الجرجاني ، في معرض حديثه عن شرح مفهوم نظم الكلام وارتباطه الوثيق بالنحو يخلص الى نتيجة حتمية يختتم بها عرض فكرته ، اذ يقول: " قد علمنا علم ضرورة أنا لو بقينا الدهر الاطول نصعد ونصوب ونبحث وننقب ، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبه لها ، ولفظة قد انتظمت مع أختها ، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو ، طلبنا ممتنعا" (1) .

ومما لا شك فيه أن الجرجاني - عندما يكون بصدد الحديث عن النحو - انما يكون يقصد - من وراء ذلك - الحركات الاعرابية التي تلحق أواخر الكلمات العربية ، من رفع ونصب ، وجر وجزم ، هذه الحركات الوحيدة التي تفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، والمتعلقة على نفسها ، " اذ كان قد علم أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها ، وان الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه ،

---

1 - الموجز في شرح دلائل الاعجاز - ص : 37

ولا ينكر ذلك الاّ من ينكر حسه " (1) .

واذا وقفنا مع السيوطي وجدناه هو الآخر يقر هذه الاحكام بالنسبة للاعراب ، اذ يقول : " فأما الاعراب فيه تميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين " (2)

وهو لا يكتفي بهذا التعريف وانما يسوق الينا أمثلة متشابهة في التركيب ، وفي الالفاظ " و ذلك أن قائلا لو قال : ما أحسن زيد ، غير معرب ، لم يوقف على مراده ، فاذا قال : ما أحسن زيدا ، أو ما أحسن زيد ؟ أو ما أحسن زيد . أبان الاعراب عن المعنى الذي أراده " (3)

فلولا الحركات الاعرابية لما استطاع المرء أن يهتدي الى المعاني الصحيحة الكامنة فيها ، ولبقي متحيرا من أمره أمامها ، فهي اذن كاشفة مضمونها وجالية غموضها . وبفضلها يتضح أن الجملة الاولى تعجبية والثانية استفهامية والثالثة نافية .

ويرى صاحب المفصل أن المبتدأ والخبر لو لم يجردا

---

1 - دلائل الاعجاز - ص: 23 - 24
2 - المزهر - 329
3 - المرجع نفسه - ص: 329

للاسناد لكانا في حكم الاصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة ، لان الاعراب لا يستحق الّا بعد العقد والتركيب ، والاسناد لا يأتي بدون طرفين مسند ومسند اليه . فلو فقد الترابط بين المبتدأ والخبر، وجردنا الكلمتين من العوامل لا للاسناد لصارتا لفظتين منفصلتين ، كل على حدة ، ولا يستطيع الوقوف على المعنى النحوي ، وبالتالي لا تظهر العلامة الاعرابية في آخر الكلمة ، لان العلامة الاعرابية تكون علامة للمعنى (1) .

وهناك من عاب ربط المعاني النحوية بالعلامات الاعرابية ، لانهم لا يجدون في كلامهم أسماء تتفق في الاعراب وتختلف في المعنى ، وأخرى تختلف في الاعراب وتتفق في المعنى .

فالعلامات الاعرابية قد لا تعين وحدها على بيان المعنى النحوي ، بل لابد من قرائن أخرى متضافرة في بيان ذلك المعنى للوصول الى العلاقات التي تحكم الكلمات في تركيب ما ، فلهذه العلاقات بين الكلمات

---

1 - المفصل في علم العربية ص : 24

صلتها المحكمة بموضعها في الكلام على الشكل الذي يقبله العقل وتتحقق منه فائدة

ونجد ابن قتيبة يتعرض بدوره للاعراب في كتابه : (مشكلات القرآن) حيث يقول : " وللعرب الاعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها ، وحلية لنظامها ، وفارقا في بعض الاحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول ، ولا يفرق بينهما اذا تساوت حالهما في امكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما الاّ الاعراب . ولو أن قائلا قال : هذا قاتل أخي بالتنوين ، وقال آخر : هذا قاتل أخي بالاضافة لدل بالتنوين على أنه لم يقتله ، وبحذف التنوين على أنه قتله . ولو أن قارئا قرأ : فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ، وترك طريق الابتداء بانا وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب ما ينصب ان بالقول ، كما ينصبها بالظن لقلب المعني على جهته ، وأزاله عن طريقته ، وجعل النبي محزونا لقولهم : ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا كفر ممن تعمده ، وضرب من اللحن لاتجوز الصلاة به " (1)

---

1 - مشكلات القرآن - ص : 56

وقال الرسول - صلعم - : " لايقتل قرشي صيدا بعد اليوم" فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام أن لا يقتل ان ارتد ، ولا يقتص به ان قتل ، ومن رواه رفعا انصرف التأويل الى الخبر عن قريش أنه لا يرتد أحدمنهم عن الاسلام فيستحق القتل " (1) .

فاختلف المراد فيما ذكر باختلاف الحركات الاعرابية لقد فرق الاعراب الجمل المتكافئة مع العلم أنها لم يطرأ عليها شئ من التغيير من حيث تركيبها وتنسيقها ، فالمعنى التركيبي الدلالي قد تغير بتغير حركات الاعراب ، فاذا أهمل في الجمل اشتبه على السامع فهمها لاحتمالها معاني لا يميزها الاّ الاعراب والذي هو نظر ابن قتيبة ، سر جمال العربية وعذوبتها

ونجد الاستاذ عباس حسن يأتي بأدلة لا تقبل الشك والجدل حول الاعراب حيث يقول : " تثبت أن الاعراب هو روح اللغة ، وأن الكلام دون الاعراب لا طائل من ورائه ، ولن يكون مفهوما ، وأن تسكين أواخر الكلمات سوف يخلق مشاكل كثيرة تتلخص فيما يلي:

---

1 - مشكلات القرآن - ص : 56

- ان التراث القديم كله دينيا وغير ديني لاسبيل لفهمه بغير الاعراب .

- والشعر العربي القديم يقوم في أوزانه وتفعيلاته على الاعراب (1) .

وبناء على ما سبق ذكره يمكننا القول ان الاعراب هو سر جمال اللغة وعذوبتها ، والكاشف عن الاغراض الكامنة فيها ، اذ بدونه لا نستطيع أن نفرق بين المعاني المتقاربة ، ولا نجني فائدة علمية ، انه المقياس الذي ترد اليه جميع الاحكام والقواعد

---

1 - النحو الوافي - ص: 1 / 84

أنواع الجمل :

1 - الجملة البسيطة

ان تحديد مفهوم الجملة البسيطة في اللغة العربية يتم أصلا بالمقابلة بين بنية الجملة المركبة والجملة البسيطة ، لان الضرورة تقتضي أن توجه العناية في مجال الدرس النحوي الى دراسة تركيب الجملة باعتبارها وحدة الكلام تتكون من عناصر ترابطية تؤدي وظيفة لغوية وابلاغية .

وفي ضوء المنطلق التركيبي نستطيع أن ننظر الى الجملة العربية من ناحية طبيعة المكونات الاساسية لها، فان الجملة البسيطة " هي المكونة من مركب اسنادي واحد يؤدي فكرة مستقلة سواء أبدئ المركب باسم أم فعل أم وصف (1) . وأمثلة ذلك : الكذب عاهة ، ضعفت النفس .

فجميع الامثلة تحتوي على مسند ومسند اليه في أبسط صيغة لها مجردة من جميع الاضافات (ففي المثال

---

1 - الجملة العربية : ص: 153

الاول : الكذب ، مبتدأ - مسند اليه - ، وعاهة خبر - مسند - ، والمثال الثاني : ضعفت : فعل - مسند - والنفس : فاعل - مسند اليه) .

فالجملة البسيطة هي أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يمكن السكوت عليه ، لاشتماله على المسند والمسند اليه في أبسط صيغة لهما (1)

ومصطلح الجملة البسيطة لم يكن معروفا في الدراسات اللغوية القديمة شأنه في ذلك شأن مصطلح الجملة ، وكذا مصطلح التركيب . وقد وجدنا علماء اللغة يتحدثون على أنواع الجمل ويقسمونها الى فعلية واسمية ، وأول من أشار الى مفهوم الجملة البسيطة من العلماء هو ابن هشام الانصاري في كتابه (مغني اللبيب) ، وعبر عنها بمصطلح الجملة الصغرى و استخدم للجملة المركبة مصطلح الجملة الكبرى(2)

والجملة البسيطة في تقسيم اللغويين المحدثين تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المكونات الاساسية

---

1 - شرح موجز دلائل الاعجاز - ص : 107
2 - مغني اللبيب - ص : 497

للجملة . وبناء على ذلك فان الجملة البسيطة هي " الوحدة الكلامية التي تتضمن عملية اسناد واحدة"(1)

وقد يتعدد المسندوالمسند اليه بواسطة أدوات العطف ، وعلى هذا الاساس قسم النحاة الجملة البسيطة الى نوعين :

- 1 - مجردة أو أساسية ، وهي التي تحتوي على عملية اسنادية واحدة ، ولا يضاف الى ركني الاسناد فيها عنصر لغوي آخر ، في قوله : رَكَدَ النَّسِيمُ - حَصْحَصَ التسليمَ (2) - الصّدقةُ نَباهةٌ ، الكذبُ عاهةٌ (3)

- 2 - موسعة ، فقد يكون أحد مكونات الجملة البسيطة مركبا غير اسنادي ، فيضاف الى ركنيها الاساسين عنصرا أو أكثر يؤثر في مضمونها أو يوسع أحد عناصرها (4)

على ضوء هذا المفهوم للجملة البسيطة عند علماء اللغة فانها تصبح المنطلق الرئيسي لدراسة نظام

---

1 - التركيب عند ابن المقفع - ص : 21
2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 81
3 - المرجع نفسه - 2 / 65
4 - مدخل الى دراسة الجملة العربية - ص : 24

العلاقات اللغوية في التركيب " من حيث انه يمثل بناء منظما من الصيغ المتحركة عبر السياق ، منطلق الوصف اللغوي " (1)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن كل تركيب تكون من مسند ومسند اليه سمي جملة بسيطة ، فان تضمنت فعلابين ركنيها سميت جملة فعلية بسيطة مثل : فتحت الباب ، وان لم تتوفر عليه سميت اسمية ، مثل : ليل دامس ، وطريق طامس .

كما لاحظنا أن مقامات الحريري مبنية أساسا على الجملة الفعلية بمختلف أنواعها وأقسامها . أما الجملة الاسمية فنادرا ما نعثر عليها ، وهي لا تمثل الا نسبة ضئيلة بالمقارنة مع الجملة الفعلية ، ولذا نقتصر على دراسة الجملة الفعلية البسيطة في مقامات الحريري

على أن الجملة الفعلية البسيطة في المقامات لا تكتفي بركني الاسناد ، وانما تتعلق بهما مفردات أو مركبات غير اسنادية ، تساعدها على الامتداد والتوسع ، وتظل محافظة على بساطتها ، أما الوسائل التي تساعد

---

1 - التركيب عند ابن المقفع - ص : 22

على امتداد الجملة البسيطة فمتنوعة ، منها ما يتعلق بالفعل، ومنها بالاسم ، ومنها بالوصف ، والامثلة عند الحريري كثيرة منها : مَلأت الجِرابَ فأَمْلِ الجَوابَ (1) .

ما يلاحظ في هذا النمط أن الحريري قد عطف جملة بسيطة على أخرى اشتملت كل منهما على جميع المركبات الاساسية في الجملة ، من مسند ومسند اليه والمفعول به الذي تعلق بالفعل هو أيضا من العناصر الاساسية في التركيب حيث ان الكلام لايتم بدونه ، فان تمّ الاستغناء عنه أوحذف يجعل المعنى ناقصا

لقد وردت العناصر المكونة لهذا التركيب على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها فقد تقدم الفاعل المفعول ، وتصدر الفعل سياق التركيب ، فالجملة البسيطة اشتملت اذن ، على مسند ومسند اليه ومفعول به .

ورد المسند فعلا ماضيا من حيث الصيغة والدلالة الزمنية ، متصدرا الصدارة ، أي الرتبة الاولى في سياق الكلام ، هذه الرتبة جعلت منه المركز الاساسي

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 68

الذي تنجذب اليه بقية العناصر ، فهو يرتبط بالمسند اليه بواسطة علاقة الاسناد الضمني ، وينصب المفعول به عن طريق علاقة التعدية المباشرة لانه من الافعال المتعدية بنفسها ، وصفة التعدية اقتضت عنصرا ثالثا بعد المسند والمسند اليه ، وهو المفعول به ، لتؤدي الجملة وظيفتها الابلاغية .

وقد تطابق المسند مع المسند اليه تطابقا تاما في جميع الجوانب سواء المتعلقة بالنوع أو العدد ، فمن حيث النوع فقد ورد المسند خاليا من علاقة التأنيث التي تلحق الفعل عندما يكون الفاعل مؤنثا ، لا ن المسند اليه جاء مذكرا .

أما من حيث العدد فقد ورد بالصيغة الدالة على الافراد ، مطابقا بذلك المسند اليه ، والفعل اذا تقدم الفاعل جاء بصورة المفرد ، وان كان فاعله بصيغة المثنى أو الجمع : " فان جمهور النحويين - مراعاة للشائع في النصوص اللغوية المروية - يوجبون عدم الحاق الفعل علامة دالة على كون الفاعل مثنى أو جمعا " (1)

---

1 - الجملة الفعلية البسيطة - ص : 57

أما بالنسبة للمسند اليه فقد ورد ضميرا للمخاطب في بنية المسند ، وبذلك احتل المرتبة الثانية ضمن التركيب بعد الفعل ، وهي المرتبة التي يقتضيها النظام العام للجملة الفعلية ، وقد تتأخر مرتبته من الثانية الى الثالثة اذا تقدم عليه المفعول به ان اقتضت طبيعة البنية التركيبية ذلك ، حيث يرى النحاة وجوب تقديم المفعول به على الفاعل اذا كان ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا (1) نحو : عفاك الله .

اعتبر النحاة المفعول به من العناصر الاساسية في التركيب ، لان الاستغناء عنه يخل بالمعنى ، ويزيل فائدة التركيب . وهذا في الجمل ذات الافعال المتعدية بطبيعة الحال ، أما مع الافعال الاخرى غير المتعدية كاللازمة مثلا فلاحاجة بنا الى الحديث عن المفعول به

وقد جاء المفعول به كلمة ، وهو بذلك حظي بالرتبة الثالثة بعد المسند والمسند اليه ، وأن طبيعة ترتيب عناصر الجملة الفعلية تقتضي أن يسبق الفعل الفاعل ويسبق الفاعل المفعول (2) مثل : " أحنى الدهرُ صعدتَه وبلل تا القطرُ بوردتَه " (3)

1 - 2 - الجملة الفعلية البسيطة - ص : 61
3 - شرح مقامات الحريري - 2/ 59

وقد يتقدم الفعول به الفاعل أحيانا

ولعل خير مثال في الموضوع ما عثرت عليه في مقامة الحريري وهو : قَرع البابَ قَارِعٌ (1) .

تميز التركيب بالبنية الثلاثية : المسند (قرع) والمسند اليه (قارع) ، والمفعول به (الباب) باعتباره مكونا أساسيا في التركيب ، ومما يلاحظ على هذه الوحدات التركيبية الثلاث الانسجام في سياق الكلام فضلا عن العلاقات النحوية والاسنادية التي تجمعها

أما من جانب ترتيب هذه الوحدات داخل نظام لغوي تقتضيه الاحكام العامة لقواعد اللغة ، فقد خولف هذا النظام بتقديم المفعول به على المسند اليه .

أما اذا أردنا وصف عناصع هذه العملية الاسنادية فيمكننا القول : ان المسند ورد فعلا ماضيا (قرع) مجردا مبنيا للمعلوم ، غير مكتف بفاعله ، هذه الميزة اقتضت عنصرا ثالثا في التركيب اللغوي حتى يؤدي وظيفته الابلاغية . وقد جاء الفعل (قرع) مطابقا نوعا وعددا للفاعل (قارع) مطابقة تامة ، كما يدل على أن الحريري

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 59

كان جاريا على قوانين وأحكام اللغة العربية ، كما رصدها النحاة من قبل .

أما الميزة البارزة التي تلفت الانتباه عند وصف المسند هي الرتبة الاولى التي يحتلها بصفة مطلقة ، وهو بهذه المكانة التي يحتلها في صدارة التركيب يعتبر المحور الاساسي الذي تنعقد عليه بقية العناصر الاخرى، وتقوّي مركزية الفعل في العملية الاسنادية ، وقد أشار الى ذلك (ريمون طحان) عندما قال : " الفعل هو أساس التعبير وهو من أهم مقومات الجملة ، ومن الاركان الرئيسية في تأليف الكلام ، يتصدر الفعل الجملة في معظم الاحوال العادية ، لان الفعل أو الحدث هو موضوع اهتمام المتكلمين بالعربية ، يقوم الفعل بعمليتي المسند والاسناد الضمنية ، وهو من القوة بحيث يعمل متقدما ، أو متأخرا في عنصر واحد أو أكثر " (1) .

ومما سبق يتضح جليا أن استعمال الجملة الفعلية عنده يفوق بقية الانواع الاخرى من اسمية وشرطية ، وظرفية ، ومما يمكن استنتاجه أن الحريري اعتبر الجملة الفعلية أساس التعبير ، وبخاصة المبدوءة

---

1 - الالسنية العربية - 2 / 54

منها بفعل ماض ، ويرى بعض العلماء أن الدراسة في مجال اللغة اتجهت أساسا الى الافعال وطبيعتها ، ولم تول اهتماما بالغا للاسم والحرف . وفي هذا الشأن يقول الدكتور حسين نصار : " يبدو أن الافعال جذبت أنظار الباحثين أولا لكثرة تصرفاتها والتغييرات التي تعتريها ، ومشقة العلم بها ، فبدأ التأليف بها . ويؤيد ذلك قول ابن القوطية في صدر كتابه (الافعال) : اعلم أن الافعال أصول مباني أكثر ، وبذلك سمتها العلماء الابنية والاسماء غير الجامدة والاصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بأزمان ، وان كانت الاسماء أقدم بالترتيب في قول الكوفيين " (1).

المسند اليه : أول ما تلفت الانتباه في التركيب عند وصف المسند اليه هي الرتبة الثالثة التي تقهقر اليها ، بعدما توسط بينه وبين المسند المفعول به ، والذي جاء كلمة مفردة ، وهو واجب التقديم عند النحاة حيث حصروا تقديم المفعول به على المسند اليه (الفاعل) في مواضع ثلاثة :

---

1 - المعجم العربي ،نشأته وتطوره - 1 / 155

- 1 اذا أريد قصره على الفاعل نحو : انما ضرب زيدا خالد - وما ضرب زيدا خالد

- 2 واذا كان الفاعل مقترنا بضمير يعود على المفعول به نحو : سكن الدار بانيها

- 3 - واذا كان المفعول به ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا نحو : أكرمني محمود (1) .

غير أن التركيب لاينطبق وهذه المواضع الثلاث، وذلك يعود - في اعتقادنا - الى ضرورة السجع الذي اعتمده الحريري في جميع التراكيب المستعملة في المقامات. فالسجع في النثر بمثابة القافية في الشعر .

أما المفعول ، ونعني به المفعول به دون سائر المفعولات الاخرى ، ذلك أننا اعتبرناها متممات لعناصر الجملة الاساسية ، والتي يمكن للتركيب الاستغناء عنها، أما المفعول به فهو طرف رئيسي في التركيب والاستغناء عنه يخل بالمعنى خاصة اذا كان المسند من الافعال المتعدية بنفسها . وقد حظي المفعول " كلمة مفردة بالرتبة الثانية متقدما الفاعل المسند اليه ،

---

1 - مختصر النحو - ص: 131 - 132

وتقديم المفعول في نظر النحاة ليس ذا أهمية كبرى في التركيب عندما نجد سيبويه يقول : " وان قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الاول ، وذلك في قولك : ضرب زيدا عبد الله ، لانك انما أردت به مؤخرا وما أردت به مقدما " (1).

وتبرز ضرورة المفعول في التركيب من خلال علاقة التعدية التي تربطه بالمسند الذي يؤثر فيه دلالة واعرابا دون وساطة حرف ، والمفعول الذي يقع عليه الاسناد مباشرة يؤدي معنى ضروريا في العملية الاسنادية ، بينما لا يؤدي المفعول المجرور بالحرف الا معنى فرعيا ، قد يستغنى عنه " (2)

وبناء على ما تقدم فان المفعول به يعتبر عنصرا أساسيا في التركيب عند الحريري ، وما يؤكد ذلك اشتمال جميع الانماط التركيبية عليه سواء كان في صورة كلمة مفردة ، أو ضمير متصل أو جاء جملة ظرفية ، وهو يؤلف مع المسند والمستد اليه الصورة الابلاغية التامة عند

---

1 - الكتاب - 1 / 14

2 - الالسنية العربية - ص : 2 / 63

المخاطب ، ولذلك جاءت رتبته بعدهما مباشرة ، وقد تتوسطهما ، كما هو الشأن بالنسبة لهذا التركيب .

وما يمكن استنتاجه أن الجملة الفعلية البسيطة المستعملة في مقامات الحريري لم تخرج عما ذكره النحاة القدماء ، فهي تتكون أصلا من المسند والمسند اليه .

وقد نجد اتفاقا تاما في وجهة التطابق النوعي والتطابق العددي . فمن حيث التطابق النوعي نجده يلحق الفعل العلامة الدالة على التأنيث مع الفاعل المؤنث المتصل بالفعل مثل :

" أفضت النوبة "

أما من حيث التطابق العددي فقد جاء المسند بصيغة المفرد مع الفاعل المفرد وغيره ، وهذا ما أقره النحاة .

وأهم خاصية يجب الاشارة اليها في النظام التركيبي النحوي للجملة الفعلية البسيطة هي البنية الثلاثية ، وهي بنية يمكن وصفها بالاصولية لانها تتكون من عناصر أصولية لا زمة للعملية الاسنادية

وهـذا بطبيعـة الحـال اذا ما أعـددنـا المفعـول به مكونـا أساسيـا .

تكتسي هـذه المكونـات الاسـاسيـة للجملـة الفعليـة البسيطـة أهميـة بالغـة في تقليب الجملـة وتنـوعها وتمـديدهـا ، تتحقق مـن خـلالهـا أغـراض بيـانيـة وبديعية ولا بـأس من الوقوف على هـذه العنـاصر الاسـاسيـة في الجملة الفعليـة البسيطـة ، ونبـدأهـا بالمسنـد ، الـذي هـو الفعـل ، وقـد اشتملت مقامـات الحريري على نسبـة كبيـر ة مـن الافعـال في مختلف الازمنـة ، غيـر أننـا نجـد الفعل المـاضي على وجـه الخصـوص يتـواتـر بقـوة ، ذلك أن موضو ع المقـامـة القـائمـة على الحكـايـة يقتضي استعمـال الفعل المـاضي للتعبيـر عـن الاحـداث المـاضيـة . والافعـال المـاضيـة الموظفـة ، أغلبهـا أفعـال متعديـة بنفسهـا وقليلـة منهـا متعـديـة بواسطـة شبـه الجملـة .

أمـا مـن حيث الرتبـة فقـد جـاءت قـارة على العمـوم في جميـع التراكيب ، اذ كـانت الصدارة للمسنـد بصفـة مطلقـة ، يليـه المسنـد اليـه ، سـواء كـان كلمـة مفردة أو ضميـرا متصـلا ، ثـم يـأتي في الرتبـة الثـالثـة المفـعول بـه ، والنظـام النحـوي يقتضي هـذا التركيب فـي

ترتيب عناصر الجملة الفعلية البسيطة .

وعلى هذا الاساس نستطيع القول ان تراكيب الحريري بهذه الصورة النمطية جاءت متفقة مع ما رصده بعض اللغويين الذين بحثوا في نظام الجملة العربية ، فهي عندهم تتألف من مسند ومسند اليه ومتمم .

ومما يلاحظ على المسند اليه في الجمل المستخدمة في مقامات الحريري أنه يلزم موقعا ثابتا في أغلب الاحيان ، وهو بذلك يحتل الرتبة الثانية مباشرة بعد المسند . وقد يتوزع في سياق التركيب فيحتل الرتبة الثالثة ، عندما يتوسط متمم بينه وبين المسند . كما نلاحظ أن المسند اليه قد ورد في مقامات الحريري على ثلاثة أصناف مختلفة ، كلمة مفردة ، ضمير في بنية الفعل سواء كان متصلا أو منفصلاأو بارزا ، وتركيب اضافة وتواتر بأعلى نسبة في صورة كلمة مفردة ، يليه في شكل ضمير مستتر أو متصل ، وأخيرا تركيب الاضافة .

ومن أمثلة المسند اليه كلمة مفردة مثل قوله : " سَبَحَ الرَّعْدُ فِي الظَّلَامِ "(1)
ومن أمثلة المسند اليه ضمير في بنية الفعل : بَادِرِ السَّيْلَ ، وَشَمِّرِ الذَّيْلَ " (2)

ومن أمثلة المسند اليه تركيب اضافة قوله :
" فَلَمَّا دَلَّ شُعَاعُه عَلَى شَمْسِهِ " (3)

ويقصد بالمتمم العنصر الذي قد يضاف الى العناصر الاساسية المكونة لعملية الاسناد ، وهو يشمل جميع المنصوبات وكل أنواع المفاعيل عدا المفعول به الذي عد من العناصر التركيبية في العملية الاسنادية ، وكذا الحال والتمييز والتوابع والمستثنى وكذلك المجرور ، سواء أكان مجرورا بالحرف أو بالإضافة (4)

ليست للمتمم ضرورة في التركيب كما هو الحال بالنسبة للمسند والمسند اليه ، وكذا المفعول به ، وانما قد يلجأ اليه حين يتعذر على السامع أو القارئ الفهم فيؤتى به لازالة الابهام والغموض من الكلام . فهو زيادة لفظية تثري المعنى ، وقد لايختل التركيب بحذفها وفي ذلك يقول الجرجاني : " ومما ينبغي أن يحصل في

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 70
2 - المرجع نفسه - 2/ 70
3 - المرجع نفسه - 2 / 59
4 - حسان تمام - مناهج البحث في اللغة - ص : 209

هـذا البـاب أنهـم قـد أصلـوا في المفعـول وكـل مازاد على جـزئي الجملـة أنـه يكـون زيـادة في الفـائـدة"(1)

وقـد تنـوعت المتممـات في مقـامـات الحريـري وتفـاوتت نسبـة كـل نـوع ، غيـر أننـا نجـد المتمـم المجـرور سواء بالحـرف أو الاضـافـة هـو المسيطـر على بقيـة المتممات الاخـرى .

ويتمتـع المتمـم بمرونـة كبيـرة ، حيث نجـده يتـوزغ في سيـاق التركيب ، فلا تكـاد تستقـر لـه رتبـة كما هو الامـر بالنسبـة للمسند أو المسنـد اليـه ، فقـد يتصـدر التركيب أو يتـوسطـه أو يتـأخـر ، وهـذا حسب ظـروف الكـلام .

---

1 ـ دلائل الاعجـاز في علم المعاني ـ ص : 411

2 - الجملة المركبة

تصاغ الجملة المركبة من جملتين بسيطتين لا استقلال لأحداهما عن الاخرى ، وتسمى الاولى الجملة الاصلية ، والثانية الجملة المرتبطة (1) .

وقد تصاغ الجملة المركبة من أكثر من جملتين، وفي هذه الحالة فالنوع الاول المشتمل على جملتين يصطلح عليه التركيب المفرد ، أما النوع الثاني فيصطلح عليه التركيب المتعدد .

وقد استخدم النحاة القدماء مصطلح العطف للربط بين الجمل المركبة ، والربط يكون بواسطة حروف العطف أو النسق ، وعطف بيان ، فأما الربط بالحروف فيشتمل على أنواع المفردات ، وأشباه الجمل ، والجمل ، وأما عطف البيان فمقصور على الاسماء المفردة . فالربط اما أن يكون بعاطف أو بدون عاطف ، كما هو الشأن بالنسبة للجمل الاعتراضية والتفسيرية والبدلية . ومع ذلك

---

1 - مدخل الى دراسة الجملة العربية - ص : 148 -

فليست هنـاك اشـارة تنص على أن هـذه الجمـل تعـا طفت بدون عـاطف

فالجملتـان البسيطتـان المستقلتـان عـن بعضهمـا صـارتـا جملـة واحـدة بعـد عمليـة الربـط ، وهي مـا اصطلـح عليها بالجملـة المركبـة . " وهي مـا تعـددت فيهـا عمليـات الاسنـاد في مستوى سيـاق التركيب "(1)

فالجملـة المركبـة هي التي تتكـون مـن مركبيـن اسناديين أحدهمـا مرتبـط بالاخـر ومتوقف عليـه ، ويكوّن أحدهمـا فكرة مستقلـة ولا معنى له الاّ بالمركب الاخـر ، والارتبـاط بيـن المركبيـن معتمـد على أداة تكوّن علاقـة بين المركبين (2)

" وترتبط الجملتـان بروابـط لفظيـة تقـع قبـل الجملة الثـانيـة مبـاشرة دون فـاصـل ، أو مركبـة مع أدوا ت الاستفهـام والاستدراك والنفي والنهـي والامتنـاع ، وهذه الروابط اللفظيـة هي الـواو مفـردة أو متلوة (بلا) أو (لو) ،ولكن مسبوقـة بالواو ، والفـاء ،وثم ، وحتى ، و أم المنقطعـة على خـلاف في بعض هذه الروابـط "(3)

---

1 ـ التركيب عند ابن المقفع ـ ص 87
2 ـ الجملة العربية ص : 115
3 ـ المرجع نفسه ـ ص : 148

وقد تظهر هذه العلاقة على النحو الآتي :

علاقة جمع بواسطة واو مفردة رابطة بين الجملتين، دون التزام بترتيب منطقي أو تعقيب زمني . والجملة المركبة من هذا النوع تظهر بكثرة في مقامات الحريري ، فهو يعتمد في أغلب الاحيان على العطف بواسطة الواو ، ليتحقق له ما يكون بصدد طلبه .

وقد نص سيبويه على ذلك بقوله : " مررت برجل وحمار - فالواو اشتركت بينهما في الباء ، فجريا عليه ولم تجعل للرجل منزلة بتقديمك اياه يكون بها أولى من الحمار ، كأنك قلت : مررت بهما ، وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشئ ، لانه يجوز أن تقول مررت بزيد وعمرو ، ويجوز أن يكون زيدا ، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة ، فالواو تجمع هذه الاشياء على هذه المعاني " (1)

والجملة اما أن تكون مرتبطة برابط ويحدث هذا الربط بين الجملتين عن طريق علاقة الجمع أو الاستدراك ، وعلاقة يقرر فيها مضمون الجملة باستعال (لو) مسبوقة بالواو ، وقد تكون العلاقة سببية

---

1 - الكتاب : 437

بحيث يكون مضمون الجملة التالية مسببا في مضمون الجملة السابقة ، أو علاقة اضراب بالعدول عن الجملة الاصلية الى مضمون الجملة المرتبطة ، أو علاقة غاية " يكون فيها مضمون الجملة الثانية غاية لمضمون الجملة الاولى ، وذلك باستخدام حتى الرابطة بين الجملتين " (1) .

وقد تكون الجملة المركبة بدون رابط ، وتشمل ما يطلق عليه النحاة الجملة الاعتراضية ، والتفسيرية ، والامر وجوابه (2)

وعرف النحاة هذه الجمل ، فقال الرضي في حديثه عن الجملة الاعتراضية " ونعني بالجملة الاعتراضية : ما يتوسط بين أجزاء الكلام متعلقا به معنى ، مستأنفا لفظا ، عن طريق الالتفات ... وقد يجيء بعد تمام الكلام " (3)

أما ابن هشام فيعرف الجملة التفسيرية بقوله : " هي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه " (4)

---

1 ـ مدخل الى دراسة الجملة العربية ـ ص : 155
2 ـ المرجع نفسه ـ ص : 156
3 ـ شرح الكافية ـ 2 / 257
4 ـ المغني ـ 2 / 56

وقد يحدث التركيب بالفريع : التفريع برابط وبالربط

ما يحل محل المفرد وما لا يحل محله :

1 - ما لايحل محل المفرد ، ونجد هذا في الجملة الشرطية والجملة الظرفية .

2 - ما يحل محل المفرد ، ويكون في جملة المصدر المسؤول والجملة الحالية والجملة الموصولة والجملة المضاف اليها وجملة النعت. (1)

ونحاول أن نقف على بعض النماذج الموظفة في مقامات الحريري ، حيث نجده يقول في المقامة الدمشقية :

" وإنّ كَذِبَكُمْ فَمي ، مَزّقُوا اَدَمِي ، وأَرِيقُوا دَمِي " (2)

اشتمل التركيب على ثلاث بنى فرعية اشتركت فواصلها في المقطع الاخير ، وبذلك قد تحقق تآلف وتجانس لفظي ، وجاءت البنية الاصلية مشتملة على جميع عناصر الاسناد ، الا أنها ليست تامة وغير مفيدة. ولن يتأتى لها ذلك الا حين تقترن بالبنية الثانية .

---

1 - مدخل الى دراسة الجملة العربية - ص : 176

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 8

فالجملة : إنْ كَذبكُمْ فَمي ، جملة ناقصة تنتظر الاتمام ، فهي لا تستغني عن الجملة الثانية التي تتم معناها . فالعلاقة بينهما هي علاقة شرطية وقد اختلف النحاة في الجملة الشرطية ، فهناك من عدها جملتين : جملة الشرط ، لكونها تتوفر على جميع عناصر الاسناد ، وجملة جواب الشرط ، لكونها هي الاخرى مشتملة على عناصر الاسناد الاساسية في التركيب .

بينما يرى فريق آخر أن الجملة الشرطية هي جملة واحدة ،، وقال بعضهم : " ينبغي أن نعلم أن العرب قد أجرت كل واحدة من جملتي الشرط والجواب مجرى المفرد ، لان شرط الجملة أن تكون مستقلة بنفسها ، قائمة برأسها ، وهاتان الجملتان لا تستغني احداهما عن أختها ، بل كل منهما مفتقرة الى التي تجورها ، فجرتا مجرى المفردين اللذين هما ركنا الجملة وقوامها " (1) .

والعلاقة التي تمت بين الجملتين جاءت بسبب

---

1 - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص : 56

أداة الشرط التي تصدرت الجملة ، وهي (ان) ، وقد وضعت لمجرد تعليق الجواب بالشرط . فالجملتان لا يمكن استغناء احداهما عن الاخرى . والشرط يبنى على جزئين : الاول منزل منزلة السبب ، والثاني منزل منزلة المسبب ، ولا يمكن تحقيق الثاني الا اذا تحقق الاول ، وينعدم الثاني بانعدام الاول ، لان وجود الثاني معلق على وجود الاول ثم عطف جملة : أريقوا دمي ، فكانت العلاقة علاقة جمع بواسطة رابطة لفظية ، هي (الواو) مفردة ، وهذا النوع من التركيب يعرف بالتركيب المتعدد ، وكما استخدم أسلوب الشرط في التركيب استخدم أسلوب القسم ومنه قوله :

" واللّهِ مَا تأوِهي مِنْ عَيْشٍ فَاتَ وَلَا مِنْ دَهْرٍ افْتَاتَ "(1)

وتتحقق العلاقة بين الجملتين الاصلية والفرعية عن طريق القسم الذي يتكون من مركبين ، يسمى الاول صدرأسلوب القسم ، والثاني عجز أسلوب القسم ، وهما يكونان مع بعضهما البعض جملة مركبة ، ومن النحاة من يرى أن الجملة القسمية هي مجموع القسم والجواب ، وعدوا صدر جملة القسم تأكيدا لعجزها فالعلاقة بينهما التأكيد (2)

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 63

2 ـ الجملة العربية ـ ص : 155

والملاحظ أن صدر أسلوب القسم قد حذف من التركيب لكون المقسم به جاء مجرورا بالواو ، وفي هذه الحالة يجب حذف هذا المركب ، ونفس الشيء اذا كان مجرورا بالتاء نحو : تالله لأجتهدنّ - أما اذا جاء المقسم به مجرورا بالباء فيمكن ذكره ، ويجوز حذفه ، نحو : أقسم بالله لأجتهدن - بالله لأجتهدنّ .

كما يحذف هذا المركب من الجملة القسمية ، يجوز أيضا حذف المقسم به المجرور و من ذلك قوله تعالى: لأعذبنه عذابا شديدا . (سورة : النمل ، آية : 21)

أما عجز أسلوب القسم ، أي جواب القسم فقد جاء منفيا من بدايته :

ان كان الفعل مضارعا ، كان نفيه بحرف من الحروف الآتية : ما ، ان ، لا ، ولا يجوز نفيه بـ : لم ، ولن .

وان كان ماضيا وجب نفيه بـ (ما) (1) نحو: واللّهِ ما مَا فُهْتُ بِزُورٍ .

فالعلاقة بين جزئي الجملة المركبة تكون كما أشرنا آنفا اما علاقة لتأكيد القسم نحو: واللّهِ جُبْتُ مَخَاوِفَ

---

1 - مختصر النحو - ص : 218

الاقْطَـارِ وَوَلَجْتُ مَقَـاحِـمَ الاخْطَـارِ فَغَنَيْتُ بِهَـا عَـنْ مُصَـاحَبَـةِ خَفِيـر واسْتِصْحَـابِ جَفِيـر "(1) .

أو علاقـة شرطيـة كقولـه : " فَإِنْ صَدَقَكُمْ وَعْـدِي فَأَجِـدُّوا سَعْـدِي ، وَاسْعِدُوا جَـدِّي " (2) .

وهنـاك حـالات أخـري كـأن تكـون علاقـة توقيتيـة مكـانيـد نحو قولـه : " بَيْنَمَـا أَنَـا أَسْعَى وَأَقْعُـدُ ، وأَهِبُ وأَرْكُـدُ ، إِذْ قَابَلَنِي شيـخٌ يَتَـأَوَّهُ أَهَّـةَ الثَّكْـلَانِ وعَيْنَـاهُ تَهْمُـلانِ " (3)

وقد تأتي العلاقة بينهما غائيـة كقوله : " مَدَحْنَاهُ حَتَّى اسْتَعْفَى ومَنَحْنَـاهُ إِلَى أَنْ اسْتَكْفَى "(4)

كمـا قد يأتي عـلاقـة استدراك واستثنـاء كقولـه مثـلا : " ولَا قَدَمَ يُطَـاوِعُنِي عَلَى الذَّهَـابِ مَعَ حُرْقَـةِ الالْتِهَـابِ ، لَكِنْ حَرَانِي القَوْمُ وسَوْرَتُهُ والسَّغَبُ وَفَوْرَتَـهُ " (5)

نجـد في المثـال عـلاقـة استدراكيـة أمـا الاستثنـائيـة فقولـه : " فَلَـمْ أَجْلِسْ إِلَّا لَمْحَـةَ بَـارِقٍ خَـاطِفٍ " (6) .

وأخيرا علاقـة مصاحبة ومعية كقوله : " انْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ

---

1 ، 2 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 8

3 ، 5 ـ المرجع نفسه ـ 2 / 62

4 ـ المرجع نفسـه ـ 2 / 85

5 ـ المرجع نفسـه ـ 2 / 79

3 - الجملة الخبرية

تنقسم الجملة العربية الى قسمين رئيسيين هما : الجملة الخبرية والجملة الانشائية ، وتندرج تحت كل قسم تفريعات . فالجملة الخبرية تتفرع عنها الجملة المثبتة والجملة المؤكدة والجملة المنفية ، أما الجملة الانشائية فتندرج تحتها الطلبية والشرطية والافصاحية ، وهذه تتفرع منها أنواع أخرى من الجمل

ونجد كلا القسمين مستعملين بصورة ملتفة في مقامات الحريري بأنواعها المختلفة غير أن الخبرية من اثبات ونفي ، وتوكيد أكثر استعمالا من الانشائية .

1 - الجملة الخبرية المثبتة :

وهي تقوم أساسا على عملية الاسناد خالية من كل أنواع التوكيد ، سواء كانت هذه المؤكدات أدوات أم أسماء ، علما " أن الجملة المثبتة

تحتفظ بصيغة فعل يفعل ، بفتح العين في الماضي والمضارع بزمنهما الذي أعطاه أياهما النظام الصرفي ، فيظل فعلا ماضيا ، ويظل يفعل حالا أو استقبالا "(1)

ونجد الجملة المثبتة مستعملة بكثرة ، سواء الماضوية منها أم المضارعية ، ومما جاء منها قوله : " شَهِدْتُ صَلاَةَ المَغْرِب في بَعْض مَسَاجِد المَغْرِب " (2)

اقتصرت الجملة على عنصري الاسناد ومتممات ، فكانت بسيطة في تركيبها ، خبرية في أسلوبها ، وقد استخدم هذه الالفاظ داخل التركيب بطريقة فنية محكمة روعي فيها التلاؤم والانسجام الصوتي الذي نجده في صياغة التركيب على الرغم من أنه لا يؤدي كبير معنى ، لكن يبقى من خصائص مقاماته البارزة .

وقد ورد المسند في التركيب فعلا ماضيا " شهدت " مثبتا على السكون ، مثبتا بين الصيغة والدلالة الزمنية ، ثلاثيا مجردا مبنيا للمعلوم ، مفردا محتلا للرتبة الاولى في السياق

وهو بهذه الرتبة يعتبر المحور الرئيسي الذي

---

1 - اللغة العربية معناها ومبناها - ص :244 - 245

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 75

تلتفت حوله بقية العناصر ، فقد ارتبط بالمسند الضمني ، ونصب المفعول به " الصلاة " عن طريق التعدية المباشرة ، اذ هو من الافعال التي تتعدى بنفسها ، أما بقية المتممات فقد زادت التركيب توضيحا واثراء .

وورد المسند اليه مباشرة في الرتبة الثانية بعد المسند في صورة ضمير متصل ، لم يفصل بينهما فاصل ، وهذا ما يتفق مع نظام الجملة الماضوية المثبتة التي لا يتقدم فيها المسند اليه على المسند ، فعلاقة الفعل مع الفاعل علاقة عضوية معنوية فضلا عن العلاقة النحوية .

أما العنصر الثالث من عناصر التركيب في الجملة الماضوية المثبتة هو المفعول به " الصلاة " ، وقد ورد في الرتبة الثالثة بعد المسند والمسند اليه طبقا لأهميته في تأدية الوظيفة الابلاغية ، وهذا لا يأتي الا مع الفعل المتعدي ، فالعلاقة النحوية تنعقد أساسا على التعدية المباشرة .

ونجد المتمم يلازم جميع عمليات الاسناد التي تضمنها التركيب ، وساد الجار والمجرور أغلب الجمل الماضوية

البسيطة أو المركبة أو المتلازمة ، وحضوره الدائم ليس من باب الحشو" وانما اقتضته ظروف القول وملابساته ، في كل الحالات التي ورد فيها ، اذ نجده في كل مرة يقدم للتركيب فائدة اضافية ، أو يزيل غموضا أو ابهاما (1)

" فانْطَلَقَ مَعَهُ مُضْطِبِنًا جِرَابَهُ مُحْتَشِّا إِيَابَهُ "

اعتمد الحريري في التركيب على الاحوال ، وهي عنده من الوسائل المساعدة على امتداد الجملة لاكمال المعنى ، كما تسمح بتحقيق التوافق بين الفواصل ، وهي من الخصائص التركيبية الفنية التي لا يمكن اغفالها . وبالإضافة الى ذلك فهي طريقته المعهودة في اتخاذ الوصف أو الحال وسيلة امتداد التركيب . وتظهر براعة الحريري في اختيار الوحدات التركيبية التي تحقق له التجانس الموسيقي ، فقد جاءت الحالة الاولى على صيغة اسم الفاعل (مضطبنا) وكذلك الحال الثانية (محتشا) ، فالاولى نصبت المفعول به (جرابه) والثانية نصبت المفعول به (ايابه) ، والمفعولان تحقق بهما التماثل والتجانس. ولو اختار الحريري أحوالا بصيغة أخرى لما تحقق له ذلك .

---

1 - الجملة الفعلية البسيطة - ص : 124

وقد اشتمل التركيب على ركني الاسناد ، كبقية التراكيب السابقة ، فورد المسند فعلا ماضيا (انطلق) مثبتا بيّن الصيغة والدلالة الزمانية ، مزيدا بحرفين (ا - ن) مبنيا للمعلوم ، مفردا ، محتلا الرتبة الاولى ، في سياق التركيب ، وقد ارتبط الفعل (انطلق) - المسند - بالمسند اليه وسائر عناصر العملية الاسنادية بواسطة العلاقات النحوية السياقية فجاءت المطابقة من حيث الشخص والعدد والنوع .

أما المسند اليه فقد ورد ضميرا في بنية الفعل وظهور المسند اليه في معظم التراكيب على شكل ضمير في صلب بنية المسند يجعل العلاقة بين المسند والمسند اليه معنوية عضوية ، كما يدعم المسند الذي يعتبر النواة التي تلتف حولها بقية العناصر المكونة للتركيب ، فالمسند هو العنصر المهيمن على العملية الاسنادية خاصة في لغة الحريري ، حيث نجد للمسند (الفعل) دورا مهما في التركيب ، وهي خاصية لها أهميتها القصوى تعكس القدرة اللغوية الفائقة للحريري وفنياته البلاغية .

أما المتممات التي تلازم العمليات الاسنادية في جميع التراكيب فهي تعد من متعلقات المسند والمسند اليه ، وقد وردت في التركيب الذي نحن بصدد دراسته على ضروب جار ومجرور ، وأحوال ومفاعيل . فجميع المتممات التي ضمها التركيب تنبثق من جوهر الاسناد ، وليست لصالح عنصر فقط . وتوزعت المتممات في سياق التركيب ، وقد احتلت الترتب الاخيرة بعد المسند والمسند اليه بصفة مطلقة ، الاّ في حالات نادرة .

وبناء على ماسبق ذكره يمكن القول ان المتمم في الجملة الخبرية يلازم العمليات الاسنادية .

2 - الجملة الخبرية المؤكدة :

فاذا انتاب المخاطب نوع من الشك وجب تأكيد الاثبات ، وفي هذه الحال يستلزم توكيد الامر بواسطة أدوات لازالة الشك واحلال اليقين.

ومؤكدات الجملة الخبرية عديدة ومتنوعة " منها : ان ، لام الابتداء ، وأما الشرطية ، وقد ، السين ، ضمير الفصل ، القسم ، نونا التوكيد ، والحروف الزائدة ، وأحرف التنبيه " (1)

---

1 - علم المعاني - ص : 58

أما في الجملة الخبرية المؤكدة فيظل الفعلان في معناهما الزمني الصرفي (1) ، فصيغة فعل - بفتح العين - ستظل دائما دالة على الماضي البسيط ، وأن صيغة يفعل - بضم العين - ستظل هي الاخرى دالة على الحال أو الاستقبال (2)

فان كان الكلام موجها لشخص قد تردد حكم الخبر ومضمونه كان من الاحسن توكيده بوسيلة تبعد الشك عن نفسه ، ومن ذلك قوله :

" أَخَذَ طَرْفي رُفْقَةٌ ، قَدْ انْتَبذُوا نَاحِيَةً ، وامْتَازُوا صَفْوَةً صَافِيَةً " (3)

تميز التركيب بالامتداد السياقي الناجم عن تعدد الاسناد الذي تكرر ثلاث مرات ، استعمل فيه الحريري (قد) التي للتحقيق ، وهي في مثل هذا المقام للتوكيد ، وقدأكدت مضمون التركيب . ويمكن ملاحظة أن المسند ورد فعلا ماضيا من حيث الصيغة والدلالة الزمنية متعددا بتعدد عمليات الاسناد محتلا في كل منهما الرتبة

---

1 ، 2 - اللغة العربية معناها ومبناها - ص : 247 - 248

3 - شرح مقامات الحريري - 2 / 75

الاولى ، وقد جاء بصيغة الفعل الثلاثي المجرد في عملية الاسناد الاولى ، وبصيغة الفعل المزيد في الثانية والثالثة .

وأما المطابقة بينه وبين المسند اليه فكانت تامة من حيث العدد والنوع . وما دام أن المسند يتطلب مسندا اليه فقد جاء هذا الاخير مساويا له في العدد ، محتلا للرتبة الثانية مباشرة بعده ، وظهر مرة كلمة مفردة وظهر في صورة ضمير متصل بالفعل مرتين .

فالمسند له دور كبير في تركيب عدد المسند اليه ، وكذا تعيين رتبته في سياق التركيب . ومما لا يدعو مجالا للشك أن المفعول به الذي يعتبر عنصرا أساسيا في الاسناد هو الآخر خاضع بدوره الى نفوذ المسند ،ولذلك كان عدده مطابقا تماما لعدد المسند اليه في وظيفتهما الابلاغية التامة ، وعدم وجوده يخل بالمعنى ، ويجعل المخاطب في ريب من أمره خاصة اذا كان المسند متعديا بنفسه .

وكثيرا ما يلجأ الحريري الى تنويع أساليبه ، وذلك بتنويع مؤكدات الخبر لتوضيح المعنى أكثر ، وازالة الغموض والابهام عنها ، يقول : " سَأَنُوبُ مَنَابَكَ وَ أَكْفِيكَ مَا نَابَكَ " (1)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 82

اشتمل التركيب على بنية بسيطة تفرعت عنها بنيتا ن فرعيتان ، اتفقت فيهما الفاصلتان وزنا ورويا .

فقد انتقل التركيب الخبري المثبت الى التوكيد ، فاستخدم له الحريري المفعول المطلق (مناب) الدال على التوكيد ، بالاضافة الى توظيف حرف (السين) التي هي من مؤكدات الخبر وتختص بالفعل المضارع للاستقبال وهي تسمى أيضا حرف تنفيس أي توسيع (1) ، لأنها تنقل الفعل من معنى الحال ، وهو يشمل زمنا ضيقا ،الى الاستقبال الذي لا حد لزمنه (2).

والسين اذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لامحالة (3)

وقد ورد المسند في هذا النمط التركيبي فعلا مضارعادالا على الاستقبال القريب ، اسند الى الفاعل المتصل ببنيته في صورة ضمير مستتر ، وقد تكرر مرتين لتكرار الاسناد ، وجاء يحتل صدارة الكلام ، قبل المسند اليه والمفعول والمتمم ، وهذه الصورة هي الاكثر استعمالا للجملة المضارعية المثبتة في اللغة العربية (1)

---

1 ـ يراجع مغني اللبيب ـ 184
2 ـ اللغة العربية نحوها وصرفها ـ 3 / 198
3 ـ علم المعاني ـ ص: 58
4 ـ الجملة الفعلية البسيطة ـ ص : 270

واحتل المسند اليه الرتبة الثانية مباشرة ، وهو ضمير متصل ببنية المسند لم يفصل بينهما فاصل ، فقد جاء الفاعل ضميرا مستترا في بنية الفعل (أنوب)وكذلك الامر بالنسبة للبنية الثانية (أكفي) ، والضمير المستتر في العملية الاسنادية الاولى والثانية فهو يعوض الضمير الدال على الاسم . ونلاحظ أن المسند اليه جاء في صورة ضمير في بنية الفعل المضارع صادرا عن المتكلم .

وتكون الجملة الخبرية اما بمسند فعلي أو اسمي ، ومن النوع الثاني قوله :

" إِنَّ أَخَا الشَّدَائِدِ لَيَقْتَعُ بِلُفَظَاتِ الْمَوَائِدِ " (1)

اشتمل التركيب على بنية أساسية تفرعت عنها بنيتان اتفقت فاصلة كل منهما مع أختها وزنا ورويا ، وهذا الجانب الشكلي في التركيب يحرص عليه الحريرى الحرص الشديد

ومن العوامل التي تؤكد الجملة الخبرية وتضيف جديدا اليها ، النواسخ المؤكدة " ونرى أن تأكيد الاثبات يمكن أن يتم باللام فقط أو بها مع قد قبل الفعل

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 79

أو بوضع ان واسمهما " (1).

والحريري قد استخدم في هذا التركيب (انّ) المكسورة الهمزة المشدد ة النون ، وهذه التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، وقد نصبت (أخا) بالالف ، لانه من الاسماء الخمسة ، ورفعت الخبر (ليقنع) في محل رفع

وفائدة (ان) في التركيب تأكيد مضمون الجملة الخبرية فان أخا الشدائد ليقنع بلفظات الموائد ، هي - في حقيقة الامر - تكرر معناها مرتين ، وبادخال اللام على المضارع الواقع خبرا (لان) ازداد معنى التأكيد وكأنه بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات (2). وهذا الايجاز في الالفاظ يعطي التركيب قيمة بلاغية أكثر دقة .

3 - الجملة المنفية :

النفي هو نفي العلاقة التي يتضمنها الاسناد بين ركنيه الاساسيين : المسنمد والمسند اليه (3)

---

1 - اللغة العربية معناها ومبناها - ص : 247
2 - علم المعاني - ص : 58
3 - الجملة الفعلية البسيطة - ص 131

اذا قلت : مافعلت ، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول
واذا قلت : ما أنا فعلت ، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول(1)

فالنفي ينصبّ أساسا على العنصر المتقدم ، سواء كان مسندا أم مسندا اليه ، فاذا تقدم الفعل كان النفي نفيا لوقوعه ، واذا تقدم المسند اليه كان المراد النفي وقوع الفعل منه دون غيره . وقد يتنوع استعمال النفي فيختار المتكلم ما يناسب لازالة ما يساور ذهن المخاطب من شكوك ، اما بالنقض أو الانكار .

وقد اهتم قدامى النحاة بالادوات التي تنفي حدوث الفعل او الاسم نفياصريحا ، " واتجهت عنايتهم في الاغلب الى معرفة أدوات الاعراب وعملها ، دون أن يمتد الى الاسلوب في ذاته بغض النظر عن تلك الادوات " (2) . بينما نجد النفي في مفهوم المحدثين هوأسلوب" لغوي تحدده مناسبات القول ، وهو أسلوب نقض وانكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب " (3)

---

1 ـ دلائل الاعجاز ـ ص : 96
2 ـ أساليب النفي في القرآن ـ ص: 128
3 ـ في النحو العربي ، نقد وتوجيه ـ ص : 246

فالكلام أول ما يكون ايجابيا أو اثباتا ، ثم تأتي المتكلم بالنفي . والنفي ليس أصلا في الكلام ، وانما هو حالة عارضة تحددها مناسبات القول ، كما يمكن للمتكلم نقضه وانكاره ، ان بدا له ذلك .

ويكون النفي بأدوات يختص بعضها بالجملة الاسمية وهي : ليس ، ما ولات ، ويختص بعضها بالفعل المضارع وهي : لم ، لما ، لن ، ويدخل بعضها على الجملتين الفعلية والاسمية وهي : ما ، ان ، وتدخل الاداة (لا) على الجمل والمفردات (1)

وهذه الحروف يستعملها النحاة في مختلف أساليبهم سواء النحوية منها أم البلاغية . واستخدم الحريري مجمل هذه الادوات في بناء الجملة بحيث نجدها في الجمل الفعلية التي اشتملت على فعل ماض أو التي اشتملت على فعل مضارع ، كما نجدها أيضا مع الجملة الاسمية ، وهي في كل حالة تفيد النفي في الماضي البعيد أو القريب أو المستقبل الحاضر أو مضمون الجملة الاسمية ، وسنقف من خلال التراكيب التي وظفها الحريري باستعماله هذه الحروف عن كيفية بناء الجملة بعد دخولها عليها

---

1 - نظام الجملة - ص: 423

ومن أمثلة ذلك قوله :

" لَمْ يَزَلْ فِكْرِي ، يَضُوعُ وَيُكْسِرُ ، وَيُثْرِي وَيُعْسِرُ "(1)

تواتر هذا النمط التركيبي في عمل الحريري بنسبة غير قليلة ، فغالبا ما يعتمد النفي باستخدام حرف (لم) الذي يدخل على الفعل المضارع دون غيره لنفي الزمن الماضي مطلقا ، فزمن المضارع بعدهما (يعني بالحرف الآخر لمّا) هو زمن الماضي (2) ، وقال بذلك أيضا ابن يعيش : " لم ولما لقلب معنى المضارع الى الماضي ونفيه "(3)

اتخذ من الجملة المنفية عنصري الاسناد ، واعتمدهما بنية محورية في التركيب ، ارتبطت بهما مجموعة من الجمل وتعلقت بهما علاقة عضوية ، وهذا الربط من صنف الوصل ، أي عطف جملة على جملة لها نفس الوظيفة .

فقد ورد المسند في البنية المحوارية في الرتبة الاولى مباشرة بعد أداة النفي ، ومن أبرز سماته انه ورد بصيغة المضارع المبني للمعلوم مجردا ، اكتفى بمعموله

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 81

2 ـ الكتاب ـ 2 / 305 ، ونظام الجملة ـ ص : 430

3 ـ شرح المفصل ـ ج8 ـ ص: 109

والفعل يكتسب أهمية كبرى في سياق كل عملية اسنادية لانه يعمل أينما كان موقعه من سياق الكلام ، سواء تقدم أو تأخر ، ظهر أو قدر " (1)

المسند اليه لم يأت مفردا ، وانما تعدد في التركيب بواسطة أدوات العطف التي تتعدد بها عناصر التركيب فقد ورد اسمها ظاهرا في البنية المحورية ، وملتصقا ببنية المسند في جميع الجمل الاخرى في صورة ضمير الغائب مستترا ، ومجيئه على هذه الهيئة يقتضي له بالرتبة الثانية في ترتيب عناصر الكلام مباشرة ، قبل الفضلات و المتممات ، وهذه هي طبيعة الجملة العربية سواء جاءت اسمية أو فعلية ، فالنظام فيها يقتضي مراعاة العناصر المكونة لها فان كانت اسمية تقدم الخبر ، وان كانت فعلية تقدم الفعل الفاعل والمفعول به ، ولا تخرج عن هذا الا في حالات

وما يلاحظ على التركيب أنه خال من الفضلات والمتممات وذلك يعود الى الاهمية الكبرى التي يوليها الحريري للجانب الشكلي للتركيب ، فالمحسن اللفظي عنده أسبق من كل أنواع التراكيب الاخرى ، وما أوردناه سابقا كنموذج الخبر دليل الى ما نقصد به بكلا منا .

---

1 - الفعل زمانه وأبنيته - ص : 15

" ما فُهْتُ بِزُورٍ وَلَا دَلَّيْتُكَ بِغُرُورٍ " (1)

اشتملت الجملة المنفية على بنيتين فرعيتين اتفقت فاصلة كل منهما في الروي وتجانست في اللفظ ، فالبنية الاولى

احتوت على مسند ومسند اليه ، أما البنية الثانية فقد توفرت على مسند ومسند اليه ومفعول به ومتمم ، وهذا التركيب تصدر بأداة نفي (ما) وهي من الادوات التي لها الصدارة . يقول الدكتور تمام حسان : " فأما الادوات الداخلة على الجمل فرتبتها على وجه العموم الصدارة .. ومثال أدوات الجمل النواسخ جميعا ، وأدوات النفي والتأكيد والاستفهام والنهي والتمني والترجي والعرض والتخصيص والقسم والشرط والتعجب والنداء " (2)

واذا كانت (ما) تفيد نفي الماضي والحال كما سبق وأن ذكرنا - الا أننا نجدها في هذا التركيب تختص بنفي الماضي لا غير ، فدخولها على الجملة الماضوية كان لنفي حدوث الفعل في الزمن الماضي . وقد ظهرت في نفس التركيب أداة نفي أخرى وهي (لا) التي وردت في البنية الثانية و هي

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 67

2 - اللغة العربية مبناها ومعناها - ص : 224 - 225

تستعمل لنفي الماضي كما هو الشأن بالنسبة لهذا المثال ، كما تنفي المضارع والامر .

ورد المسند في المرتبة الاولى بعد أداة النفي مباشرة فطبقا لقوانين النفي التي تستلزم ترتيب عناصر الجملة الماضوية المنفية بحيث تحتل الاداة الصدارة يليها المسند ثم المسند اليه ، ولذلك كان النفي نفيا للعلاقة بين المسند والمسند اليه ، فالنفي منصب أساسا على نفي الفعل الماضي مطلقا .

وقد ورد المسند في كلا البنيتين بصيغة الماضي المجرد المبني للمعلوم ، أما العلاقة بينه وبين المسند اليه هي علاقة نحوية ولم تكن تعدية مباشرة على المفعول به ، وانما بواسطة حرف الجر (الى) ، والفعل (فاه) من الافعال التي تتعدى بواسطة حرف الجر ، فهو ليس من صنف الافعال التي تكتفي بفاعلها ، وانما من الافعال التي تحتاج الى مفعول في التركيب لتأدية الوظيفة الابلاغية على أكمل وجه .

واذا جئنا الى المسند اليه وجدناه يحتل الرتبة الثانية مباشرة بعد المسند في كلا البنيتين ، وقد ورد ضميرا متصلا في بنية المسند ، فالعلاقة بينهما علاقة عضوية ، فضلا عن العلاقة السياقية التي يقتضيها التركيب .

تعد المتممات من العناصر المساعدة في التركيب ولو كانت غير أساسية فيه ، فان المتكلم يجد نفسه مضطرا اليها في كثير من الاحيان لاتمام الفائدة من كلامه ، فالحريري يلجأ كثيرا الى استخدام المتممات بأنواعها المختلفة ويوزعها في سياق التركيب ،ولا يكتفي أبدا بالعملية الاسنادية الواحدة دون زيادة لفظية تفضي الى زيادة معنوية (1)

---

1 - الجملة الفعلية البسيطة - ص : 144

4 - الجملة الانشائية

1 - الجملة الندائية

النداء كما عرفه علماء اللغة هو طلب اقبال المدعو على الداعي باحدى أدوات النداء (1) ، وهي : يا ، وأيا ، وأي ، والهمزة ، والادوات الاربع الاولى تستعمل في مد الصوت للشيء البعيد أو للمعرض الذي لا يقبل الا بالاجتهاد ، أو النائم المستثقل (2) ، أما الهمزة فهي لنداء صاحب القريب المقبل على المنادى ، وقد يستعملون الادوات الاربع يا ، وأيا وهيا ، وأي ، في مكان الهمزة لتوكيد النداء ولكنهم لا يستعملون الهمزة في نداء البعيد أو المعرض أو النائم (3)

المعروف أن المنادى ينصب اذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف أو نكرة غير مقصودة ، و قد جاء ذلك في الكتاب

---

1 - علم المعاني - ص: 125
2 - نظام الجملة - ص: 504
3 - المرجع نفسه - : 504

" واعلم أن النداء كل اسم مضاف اليه فهو نصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب " (1) .

فعامل النصب في المنادى - في نظر سيبويه - فعل محذوف تقديره أنادي أو أدعو ، فالجملة أصلها أنادي زيدا ، وبذلك يدرج بعض النحاة المنادى تحت المفعول به ، كما فعل ابن هشام .

وما يلاحظ على عبارة سيبويه " المفرد رفع " يكاد يكتنفها نوع من الغموض في التفرقة بين البناء والاعراب ، غير أن الذي أزال ذلك الغموض قوله فيما بعد ، هو في موضع اسم منصوب ، وذلك هو الكلام الذي يقال عن المنادى مبني في محل رفع .

والنداء - في نظر المحدثين - يبنى على شيئين هما :

1 - أداة النداء

2 - المنادى

ومنهما ينشأ مركب لفظي ليس فيه معنى فعل مقدر كما ذهب الى ذلك سيبويه ، ونحاة البصرة (2) ، ولا اسناد

---

1 - الكتاب - 2 / 182

2 - دروس في المذاهب النحوية - ص : 34

فيه ولا يصح عده في صنف الجمل ، ولو كانت غير اسنادية الا اذا أرادوا بذلك توسيع مفهوم الجملة الندائية والخروج بها الى معاني غريبة (1)

ومهما يكن من اختلاف حول الجملة الندائية من عوامل وتقديرات فان ذلك لا يغير من طبيعتها في شيئ ، وتبقى تلك الاراء مجرد اجتهادات ، فالنداء بقي على الصورة التي عرفه بها سيبويه ، ومهما يكن من أمر فان حرف النداء هو الذي يعمل في المنادى

وتستعمل أدوات النداء في مواضع تقتضي رفع الصوت ومده لتنبيه المخاطب ، أو المنادى . هذه وظيفتها في الاستعمال اللغوي ، غير أن بعض النحاة يرون أنها تؤدي أهم من أي وظيفة أخرى عندما ربطوها بقضية العامل وقدروا لها فعل : أدعو أو أنادي ، فمادام لكل " معمول عامل يؤثر فيه ، ومادامت الاداة ليست من العوامل فلابد من تقدير ما يؤدي هذه الوظيفة " (2)

---

1 - دروس في المذاهب النحوية - ص: 34

2 - التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري - ص : 177

وقد تواترت الجملة الندائية في مقامات الحريري ، وقد غلب عليها استعمال أداة النداء (يا) ، وهذا أمر طبيعي حيث انه حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، وقد ينادي بها القريب توكيدا ، وقيل انها مشتركة بين القريب والبعيد على السواء ، وقيل بينهما و بين المتوسط ، وهي أكثر أحرف النداء استعمالا ، وعند الحذف قد لا يقدر سواها (1) ، نحو: " يوسف اعرض عن هذا " (2)

ولا ينادى اسم الله - عز وجل - والاسم المستغاث ، وأيها وأيتها الا بها ، ولا المندوب الا بها أو بوا

وقد يخرج النداء عن معناه الاصلي ، من نداء القريب أو البعيد الى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كالاغراء والتحسر والزجر والاستغاثة والتعجب والنذبة والاختصاص .

وقد تمتد الجملة الندائية وتقصر لكن ظاهرة التجانس الصوتي تبقى طاغية ، فلم تعد الوظيفة

---

1 - يراجع : مغني اللبيب - ص : 488
2 - سورة : يوسف - آية : 29

هي الاساس بقدرما كان التصنع اللفظي هو الدافع(1)

ومما جاء في مقامات الحريري قوله : " يَا أَوْلى الأَلْبَابِ والفَضْلِ اللُّبَابِ ، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَنْفَسَ القُرُبَاتِ تَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ ، وأَمْتَنَ أَسْبَاب النجاةِ مَوَاسَاة ذَوِي الحَاجَاتِ " (2)

التركيب انشائي ، أما مضمون الخطاب النداءي فاستفهام خرج الى التقرير ؛ فالتساؤل ليس ذا أهمية أكثر من تثبيت المعنى وتأكيده ، فقد ورد المنادى بنية ثنائية (أولي الالباب) و (الفضل اللباب) ، ووقع توليد على مستوى المضاف اليه ، أما المضاف (أولي) فلم يتكرر وهذه الاطالة في المضاف قد ترجع الى المعنى الفحم التي أراد الحريري أن يجلب اليها اهتمام السامع وهو الاقتباس من الحديث النبوي الشريف .

ونلاحظ تشابها واضحا على مستوى البنيتين(الالباب واللباب) من حيث التجانس اللفظي والوظيفة المشتركة التي يؤديها كل منهما ، أما الجملة الاسمية المنسوخة المتكونة من جزء محواري هو الاداة وآخر فرعي مزدوج في محل نصب معمول المعمل .

---

1 ـ التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري ـ ص: 178
2 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 79

هذه الازدواجية تولد عنها كثير من التشابهات والتماثلات على مستوى البنية الفرعية اذ نلاحظ وقوع تشابه بين المضاف اليه في كلا معمول (ان) (القربات - الكربات) وهو في الثانية بين (النجاة والحاجات)

وقد تم اختيار صيغة أفعل (أنفس - أثمن) الدالة على التفضيل ، وهذه المساواة بين المعمولات (تعملون) لا ينظر اليها حشوا ، فالمعنى هام يتطلب التأكيد والتثبيت .

وقال " يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم "(1).

جاء المنادى في التركيب مضافا الى ياء المتكلم المتروكة الاظهار ، وهي لا تثبت مع النداء كما أن التنوين لا يثبت في المنادى المفرد ، وياء الاضافة في الاسم بمنزلة التنوين لانها بدل من التنوين " لانه لايكون كلاما حتى يكون في الاسم كما أن التنوين اذا لم يكن فيه لا يكون كلاما ، فحذف وترك آخر الاسم جرا

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 82

ليفصل بين الاضافة وغيرها ، واستغنوا بالكسرة على الياء " (1) .

والمنادى اذا كان مضافا الى ياء المتكلم كما هو الشأن في المثال السابق صحيح الآخر فان في ياء المضاف اليه وجوها ، نذكر منها :

1 - حذف الياء مع بقاء الكسرة دليلا عليها ، فنقول: يا قوم ، كما جاء في كلام الحريري ، فلم يخالف فيه الاحكام ، والحقيقة : يا قومي ، فحذفت الياء لما قد ذكر

2 - بقاء الياء مع بنائها على السكون : يا قومْ

3 - بقاء الياء معبنائها على الفتح : ياقومَ

4 - بقاء الياء على الفتح ثم قلبها ألفا بعد فتح ما قبلها : يا قومَا ، ويجوز الحاء هاء السكت بعدها عند الوقف : ياقوماه

وأشهر ما ورد في كلام العرب عن المنادى المضاف الى ياء المتكلم ما ذهب اليه صاحب الكتاب في الوجه

---

1 - الكتاب - 2 / 209

الاول ، حذف الياء مع ابقاء الكسرة دليلا عليها ، وهو أفصحها جميعا ، وقد فسر حذف الياء لانها شبيهة بالتنوين ، فكما أن التنوين يحذف في النداء فكذلك الياء (1)

فالجملة الندائية اتبعت بجملة اسمية منسوخة مع تقديم الخبر الذي جاء شبه جملة في محل رفع ، على الاسم (استيلاد) المضاف الى العقيم ، وقد عطف على البنية المحوارية جملا عديدة تماثلت فواصلها وزنا ورويا ، أما غرضه من التقديم تأكيد الامر وتعظيمه مع اظهار قوته ، ذلك أن من الصعب بما كان طلب الولد من نفس شديدة لا تؤثر فيها النطفة ، أو طلب فائدة من ذهن كليل أو قريحة جامدة .

وقد لا تكتفي الجملة الندائية بمكوناتها المباشرة من أداة ومنادى ومضمون النداء ، بل قد تمتد وتتبع بجمل أخرى . ومن ذلك قوله :

" فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّ لِبُكَائِكَ سِرًّا وَوَرَاءَ تَحَرُّقِكَ لَشَرًّا فَأَطْلِعْنِي عَلَى بُرَحَائِكَ واتَّخِذْنِي مِنْ نُصَحَائِكَ " (2)

---

1 - يراجع : دروس في المذاهب النحوية - ص: 43 - 44

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 63

جاءت الجملة الندائية متبوعة بجملة خبرية وبأخرى انشائية ، وهذه طريقة معهودة ، فقد يأتي بجملة خبرية ويعقبها بأخرى طلبية ، وقد ورد المنادى اسم اشارة ، وعادة ما يحمل النداء بهذا الاسم نوعا من الاستخفاف والاستهزاء غير أن هذا التركيب لا يدل فيه اطلاقا على ذلك .

وقد يلجأ أحيانا الى تأكيد الخطاب الندائي بمجموعة من المؤكدات ، كما هو الشأن هنا ، حيث أكد الكلام بأن ولام التوكيد ، واسمية الجملة .

وقوله : " يَا هَذَا إِنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ العِشَاءِ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ فضَلات العَشَاءِ ، فإنْ كُنْتَ بِهَا قَنُوعًا ، فَمَا تَجِدُ فِينَا مَنُوعًا " (1)

استعمل الحريري في هذا التركيب الاداة (يا) الاكثر استعمالا والمنادى جاء اسم اشارة ، والبنية فردية هي تنزيل القريب منزلة البعيد لانحطاط منزلته ، فالتعبير فيه نوع من الاستخفاف والاستهزاء ، فمن شيم العرب كرم الضيف ، غير أن الجماعة خالفت العرف وقالت للضيف ان كنت ترضى

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2/ 79

بفضلات الطعام المتبقية من العشاء على الموائدوقنعت بها ، فاننا لن نمتنع في تقديمها لك ، وان رفضت ليس لك عندنا شيئ .

فالجملة الندائية اشتملت على نداء اسم الاشارة المبهم كما أشار اليه سيبويه " لذلك فأسماء الاشارة تنزل منزلة أي ، وتلتقي معه في أنها توصف بالمعرف (ال) مرفوعا ،تقول: يا هذا الرجل ، صار المبهم وما بعده بمنزلة اسمواحد وقال الخليل : اذا قلت : يا هذا ، وأنت تريد أن تقف عليه ثم تؤكده باسم يكون عطفا عليه ، فأنت بالخيار : ان شئت رفعت وان شئت نصبت ، وذلك قولك : يا هذا زيد ، وان شئت قلت : زيدا " (1)

عندما يستعمل الحريري الاساليب الانشائية ليس القصد غايتها أكثر مما نجده يميل بها الى المحسنات اللفظية لان العصر كان عصر تصنع ، فكان لا بد من مسايرته ولذلك فلا تكاد تخلو بنية واحدة من هذا العمل ، فقد أورد لفظة العِشاء في البنية الاولى وأتبعها بنفس اللفظة في البنية الثانية مع اختلافهما في هيئة الحركات ، فحدث بينهما تجانس ، وكذلك الامر بالنسبة للثنائية الثانية

---

1 - الكتاب - 2 / 189

(قنوعا - منوعا) ، فالحريري دوما يبحث عن الاجراس الموسيقية والنغمة المؤثرة .

ويستخدم النداء في بعض الاحيان بدون أداة كقوله :

" ابنَ آدمَ ما أغَرَّاكَ بِمَا يَغُرُّكَ ، وَأضَرَّاكَ بِمَا يُضِرُّكَ ، وألْهَجَكَ بِمَا يُطغِيكَ ، وأبْهَجَكَ بِمَا يُطْرِيكَ "؟ (1)

وهذه طريقة معروفة عند القدماء وموجودة في القرآن الكريم : " يوسف اعرض عنن هذا واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين " (يوسف : 29)

وأرجع تفسير الحذف هنا " حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب وتلطيف لحمله " (2)

وحذف أداة النداء جائز عند علماء اللغة ، تقول: زيد ، وأنت تريد : يا زيد ، وتقول : من لا يزال محسنا افعل كذا ، وأنت تريد : يا من ، وانما لم يجوزوا حذف أداة النداء اذا كان المنادى اسم اشارة ، فلا تقول : هذا ، وأنت تريد : يا هذا (3)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 179

2 - الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ص: 21

3 - نظام الجملة :ص : 522 - عن : الكتاب : 2 / 461

وقد جوزه الحريري " وحذف (يا) يجوز في النداء كقولهم : " رب استجب دعائي " (1)

ان قضية الحذف تكشف عن أمر تنغيمي باعتبار النداء من الاساليب الانشائية يعتمد عن طريقة متميزة عن بقية الاساليب الاخرى في كيفية خروج الكلام . " ألا ترى أنك تذكر بعد (يا) اسما واحدا ، كما تذكره بعد الفعل المستقل بفاعله اذا كان متعديا الى مفعول واحد كضربت زيدا ، ولقيت قاسما ، وليس كذلك حرف الاستفهام وحرف النهي ، وانما تدخلها على الجمل المستقلة ، تقول : ما قام زيد ، وهل قام أخوك ، فلما قويت (يا) في نفسها وأوغلت في شبه الفعل تولت بنفسها العمل " (2)

فالبنى الاربعة التي تكون منها التركيب تشابهت في مستواها الظاهر : الفعل والضمير ، الجار والمجرور ، هذا التشابه بعث نوعا من الملل في النفوس الامر الذي دفع بالحريري الى تقسيم التركيب الى ثنائيتين نتجت عنها علاقات تجانس وتآلف .

---

1 ـ الملحة ـ ص : 30

2ـ الخصائص ـ 2 / 277

2 - الجملة الاستفهامية

الاستفهام أسلوب من الاساليب اللغوية ، والغاية منه طلب العلم بشيئ لم يكن معلوما ، لا يشعر فيه المستفهم بغموض ، وقد يستفهم عن نسبة حاصلة بين المسند والمسند اليه ، أو عمن قام بالحدث ، أو غير ذلك، والاستفهام قد يكون مبنيا على يقين أو على شك وظن .

وحقيقة الاستفهام طلب الفهم (1) ، وقيل الاستخبار وهو ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم ، فان سألت ثانيا كان استفهاما ، وهذا ما ذهب اليه ابن فارس حين قال: " وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق قالوا : وذلك أن أولى الحالين الاستخبار ، لانك تستخبر فتجاب بشيئ قريبا فهمته وربما لم تفهمه ، فاذا سألت ثانية فأنت مستفهم ، تقول : أفهمني ما قلت لي"(2)

وتستخدم في تأدية الوظيفة اللغوية أدوات استفهام

---

1 - الملحة - ص : 41

2 - الصاحبي في فقه اللغة - ص: 181

منها ما هو أصل كالهمزة و (هل) ، و اما على حد أسماء الاستفهام وهي كنايات جملت على الهمزة و هل جملا ، ويستفهم بها عن المفرد وهي : من ، وما ، وماذا ، ومتى ، وأين ، وأيان ، وأنى ، وكيف ، وكم ، وأي ، و أم . (1)

ويمكن تقسيم أدوات الاستفهام من حيث المعاني التي تؤديها في الاستفهام الى ثلاثة أقسام :

1 - ما يختص بطلب التصور والتصديق ، كالهمزة

2 - ما يختص بطلب التصديق : هل

3 - ما يختص بطلب التصور فقط ، وهو غير الهمزة وهل من أسماء الاستفهام أو الكنايات المذكورة آنفا (2)

ما يختص بالتصور والتصديق ، الهمزة ، وهي أشهر أدوات الاستفهام ، " لانها وضعت أصلا للدلالة عليه " (3) ، يطلب بها التصور ومعناه أن السائل يطلب تعيين وتحديد المسند أو المسند اليه ، أو أحد متعلقا ت الفعل عندما يكون المستفهم شاكيا أو مترددا (4)

---

1 - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص : 270

2 - الجملة الفعلية البسيطة - ص: 193

3 - الكتاب - 1 / 99

4 - جواهر البلاغة - ص: 86

أما التصديق فالمراد به ادراك نسبة تامة بين المسند والمسند اليه ، أو عدم وقوعها (1)

ما يختص بطلب التصديق ، هل ، وهي تستعمل لطلب التصديق فقط ، والتصديق معناه أن السائل يطلب أن تكون الاجابة عما يسأل اثباتا أو نفيا ، تقول : هل ضربت زيدا ؟ ، فأنت لا تدعي أن الضرب واقع وانما تسأل عنه ، وحاجتك في السؤال أن يجيبك بالاثبات أو النفي ، لذلك يجاب عليه بنعم ان اريد الاثبات ، وبلا ، ان اريد النفي (2)

مايختص بطلب التصور ، ويدخل في هذا القسم جميع أسماء الاستفهام (3) . ويطلب بها التصور فقط، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه ، والتصور يكون مخالفا للمطلوب ، وهذه الاسماء هي :

من : اسم استفهام يسأل بها عن العاقل نحو : من بعثنا من مرقدنا .

ما : كناية يستفهم بها عن غير العاقل ، مبهمة تقع على كل شيئ ، وكذا : أي

---

1 - جواهر البلاغة - ص : 86

2 - يراجع :نظام الجملة - ص : 84

3 - مغني اللبيب - ص: 21

كم : كناية عن العدد ، تأتي مبهمة تحتاج الى تمييز يميزها

كيف : كناية عن الحال

أين : كناية عن المكان

أنى : تأتي بمعنى كيف وبمعنى أين

متى وأيان : كناية عن الزمان (1)

ولهذه الاسماء والكنايات استعمالات أخرى في اللغة العربية لمن أراد أن يقف عليها في الكتب اللغوية والنحوية

قد يتم الاستفهام في العربية باستخدام الحرفين : الهمزة وهل ، أو باستخدام الكنايات المتضمنة معنى الاستفهام (2)

وللحرف الصدارة في جملة الاستفهام ، فهو يقع في أولها ولا يتقدم عليه شيئ له علاقة بالجملة التي بعد أداة الاستفهام ، فلا يجوز مثلا أن تقول : زيد هل ضربت ؟ فان قلت : زيد هل رأيته ؟ جاز لان هل في صدر جملة هي في محل رفع خبر للمبتدأ : زيد ، وكذلك بقية أدوات الاستفهام (3).

---

1 - يراجع نظام الجملة - ص: 483 - 484

2 - يراجع - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص: 266 - 274

3 - الكتاب - 1 / 99

والاستفهام لا يكون الا عند طلب الفهم ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة الى جواب تعلق به السائل ، فيأتي متأخرا لايسبقه ، فالارتباط بين الاستفهام والجواب قوي ، ودعت الدراسات لبعض المحدثين الى دراسة الاستفهام والجوا ب في سياق موحد ، لانهما من واد واحد ، فلا جواب الا بعد الاستفهام ، وهما متلازمان تلازما يقتضيه حال الخطاب وبنية واحدة لا تنفصم عراها الا نحويا (1)

والجدير بالذكر أنه ليس لكل سؤال جواب ، فقد لايكون الجواب ضرورة حتمية بعد كل استفهام ، هذا ما صدفناه في أثناء استقراء المادة المكونة لمقامات الحريري فمعظم الجمل الاستفهامية التي رصدناها جاءت بدو ن جواب ، هذا يعود - في اعتقادنا الى أن الحريري استخدم أدوات الاستفهام في معان أخرى على سبيل المجازبعدما خرجت عن معانيها الاصلية .

ونستطيع حصر تلك المعاني فيما يلي : النفي والتعجب والتمني والتقرير والتعظيم والتحقير والاستبطاء والتسوية والتهكم والوعيد والتهويل والتشويق والامر والنهي ...(2)

---

1 - يراجع - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص: 277 - 280
2 - يراجع - علم المعاني - ص: 104 - 118

ولقد استخدم الحريري الجملة الاستفهامية بكثرة في مقاماته ، ونوّعها مستعملا أدوات شتى ومعاني مختلفة وهو لا يكتفي فيها بالاستفهام ومكوناتها الاساسية بل تمتد هذه الجمل وتطول ، وقد تخرج أحيانا عن معناها الاصلي الى معان أخرى ، كما سبقت الاشارة اليه ، واعتماده هذا الاسلوب لانه ذا أهمية قصوى في تحقيق ما يهدف اليه من محسنات لفظية كالسجع والجناس ولزوم ما لا يلزم ...

ومما جاء في المقامة المغربية قوله : " وَقُلْتُ لَهُمْ : أَتَقْبَلُونَ نَزِيلاً يَطْلُبُ جَنَى الأَسْمَارِ لاَ جِنَيَّ الثِّمَارِ وَيَبْغِي مِلْحَ الحِوَارِ لا مِلْحَاءَ الحُوَارِ " (1)

تصدرت الهمزة هذا التركيب الاستفهامي ، والقاعدة تقتضي ذلك ، وهي هنا للتصور ، وتلاها اسناد انتهي بمفعول به ، والحريري مولع بالزينة اللفظية ، والجملة على هذه الحال لا تحقق شيئا من التآلف والسجع بين عناصرها ذلك ما دفعه الى جعل المفعول به (نزيلا) بنية محوارية ارتبطت بها بنيتان وصفتان حقق من خلاليهما تناسقا وتجانسا لفظيا . فالبنية الاولى فيها تماثل مقطعي بين

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 79

(الاسمار - الثمار) - مار - ، أما البنية الثانية فجناس ناقص محرف (الحوار - الحوار) .

وقد سمح الاستفهام للكلام بالامتداد والاطالة وهو بذلك يخرج عن معناه الاصلي الى الاستبطاء

وكثيرا ما نجد الاستفهام يخرج عن معناه الاصلي الى أغراض بلاغية متعددة ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ومنه قوله : " أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَنْفَسَ القُرُبَاتِ تَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ"(1)

خرج الاستفهام في هذا التركيب الى التقرير والتأكيد حيث انه أراد حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه اثباتا وأن المقرر به جاء بعد همزة الاستفهام ، أما تعلمون أن أنفس القربات ... أراد أن يقرر لدى السامع أن أرفع ما يتقرب به الانسان الى الله عز وجل هو ازالة الهموم عن أصحابها ، وهذه حقيقة ثابتة اقتبسها من الحديث الشريف ، وأراد تأكيدها وتقريرها بما يعلمه .

وقد دخلت همزة الاستفهام في النمط التركيبي على النفي وهو أحد الاحكام التي خصت بها الهمزة ، قال ابن هشام :

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 79

" انها تدخل على الاثبات كما تقدم ، وعلى النفي ،نحو : ألم نشرح لك صدرك " (1) ، وأفادت معنى التصديق عن وقوع نسبة بين المسند والمسند اليه .

فقد ورد المسند في صيغة فعل مضارع مجرد مبني للمعلوم ، وتصدر مباشرة التركيب بعد أداة الاستفهام : الهمزة ، مع حرف النفي (ما) ، وقد جاء المسند في هذا النمط مسندا الى ضمير متصل ، متمثل في واو الجماعة ، فكانت العلاقة بين المسند والمسند اليه عضوية معنوية نحوية .

فالتركيب العام للجملة الاستفهامية احتوى على بنية فردية اشتملت على فاصلتين تشابهت وتجانست فيما بينها (قربات ـ كربات) ، وكلاهما مضاف اليه بمعمول (ان) ، وجاءت مقبولة لا عنت فيها ولا تكلف .

وكما استفهم بالهمزة نجده يستخدم أيضا (هل) ، ومن أمثلة ذلك قوله : " فَهَلْ سَمِعْتُمْ يَا أُولِي الأَلْبَابِ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا العُجَابِ " (2)

اشتمل التركيب على بنية استفهامية واحدة مصدرة

---

1 ـ مغني اللبيب ـ ص: 21

2 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2/ 214

(بهل) " لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء ، و هما لا يتوجهان الى الذوات وانما الى الصفات " (1)

ومما يمكن ملاحظته أن البنية بسيطة في تركيبها لاشتمالها على عملية اسنادية ، لكن التركيب امتد أكثر وخرج عن معناه الحقيقي الى التقرير ، هذا الامتداد نوّع في الاسلوب وحقق تجانسا صوتيا ، وهذا ما يهدف من ورائه الحريري .

احتل المسند الرتبة الاولى في سياق التركيب " اذا ما استثنينا أداة الاستفهام التي لها محل الصدارة في كل سياق كلامي ، ترد فيه " (2) ، وتشير الى أن المسند (الفعل) قد ورد مفردا بصيغة الثلاثي مجردا مبنيا للمعلوم ، مسندا الى ضمير الرفع المتصل (سمعتم)

واحتلال المسند لهذه الرتبة يدل على أنه محل الاستفهام ، كما هو الحال في هذه البنية . والمحور الذي تنعقد حوله جميع العناصر الاخرى ، فعلاقته بها امّا عضوية كتلك التي تجمعه بالمسند اليه ، أو نحوية اذا كان من الافعال المتعدية مباشرة دون اللجوء الى الحرف

---

1 ـ التركيب وخصائصه في مقامات الحريري ـ ص: 210
2 ـ الجملة الفعلية البسيطة ـ ص : 221

أو اقتضى بعضا من المتممات التي تتعلق به كالظرف والجار والمجرور .

وبما أن المسند جاء مفردا فمن الطبيعي أن يأتي المسند اليه كذلك ، وقد ورد مباشرة محتلا للرتبة الثانية في صورة ضمير متصل بالمسند ، وهذا ما يدل على العلاقة العضوية التي تربط بين المسند والمسند اليه .

لم يكتف الحريري بالعناصر الاساسية في عملية الاسناد ، وانما أضاف اليها متممات أضفت على التركيب وضوحا معنويا ، وأفادت تدقيقا وتفصيلا للجملة ، يقول ريمون طحان : " فهي تكشف شيئا من الابهام الذي يكتنف بعض جوانب الجملة "(1)

فكل ملفوظ صوتي احتوى عليه التركيب اضافة عن عنصري الاسناد الاساسيين فهو متمم أدى كل واحد وظيفة نحوية معينة .

والملاحظ أن الرتبة المتأخرة التي يحتلها المتمم تشغل حيزا ممتدا في السياق تساعد في اتساع حجم التركيب .

---

1 ـ الجملة الفعلية البسيطة ـ ص: 71

وما يمكن استخلاصه أن المتدم عبارة عن زيادة لفظية تفضي الى زيادة معنوية في التركيب ، وقد يستغنى عنها ، ولكن وجودها يعطي العبارة أكثر وضوحا .

وننتقل الى دراسة الاستفهام بغير اداة ، أي الاستفهام الذي يتم عن طريق الكنايات المتضمنة لمعناه ، وهذا بتقديم احدى كناياته ووضعها في صدر الجملة الاستفهامية . والاستفهام في هذه الحالة يرد لطلب التصور لاغير (1)، وما دامت للتصور فهي لتبيين المفرد فقط (2) ، ومن أمثلة ذلك قوله : "

" كَيْفَ يُجتلبُ اِنصَافُ بِضَيْمٍ ، وأنّى تُشْرِقُ شَمْسُ بِغَيْمٍ "(3)

يشتمل التركيب على جميع العناصر الاصولية في عملية الاسناد ، وأهم خاصية ميزت هذا النمط هي استخدام بنيتين استفهاميتين في وقت واحد ، استعمل فيهما الحريري (كيف و أنى) ، وهو اختلاف شكلي لان البنية الثانية أتت بمعنى كيف ، وأما أنى فتستعمل تارة بمعنى ، كيف، كناية عن الحال نحو: أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا (آل عمران:37)

---

1 - مغني اللبيب - ص. 21

2 - في النحو العربي ، نقد وتوجيه - ص: 280

3 - شبرح مقامات الحريري - 1/ 82

وكل بنية بسيطة في مكوناتها المباشرة وقد اقتضى ذلك استخدام (الواو) في سياق الكلام لعطف البنية الثانية على الاولى ، ولهما وظيفة نحوية واحدة ،، فترتب عن ذلك تشابه بنيتيهما في القيمة الابلاغية .

فصدرت الاولى بأداة الاستفهام (كيف) وقد وليها فعل مضارع "وهذه تفيد انكار حال الفعل الواقع الذي ماكان يصح حدوثه ، وانكار الحال أريد به انكار الفعل على وجه المبالغة " (1) ، ودلت (كيف) في هذا الاستعمال على انكار الحال مع التعجب من الفعل وتوبيخ فاعله .ونجد الامر نفسه في البنية الثانية (وأنى تشرق شمس معغيم) فصدرت بأداة (أنى) التي هي بمعنى (كيف) (2) وهي تفيد ما أفادته (كيف) في البنية الاولى (كيف يجتلب انصاف بضيم) انكار حال الفعل الذي لم يقع بقصد انكار وقوعه هو ، تأكيدا لنفيه واستبعاده والتعجب من مدعي وقوعه ، فالضيم لا يجتمع معه الانصاف والعدل ، ومع ذالغيم لا تتأتى رؤية نور الشمس .

وأهم الخصائص التي اكتسبها التركيب الاسنادي الاستفهامي الذي تم بالكناية بدل الحرف ، اتصف بازدواجية

---

1 - أساليب الاستفهام في القرآن - ص: 148

2 - اعراب القرآن للحوفي - ص: 38

الوظيفة ، اضافة الى معنى الاستفهام الذي تضفي به على الجملة عندما تتصدرها ، فانها تؤدي وظيفة نحوية أخرى في كل عملية اسنادية كأن يكون لها محل من الاعراب ، وكذلك نجد التراكيب الاستفهامية بواسطة الكناية عبارة عن استفهام بلا جواب . ويمكن تفسير هذه الحالات بأن الحريري يلقى السؤال ثم يسترسل في الكلام دون أن ينتظر الرد ، خاصة وأن الاستفهام يخرج عن مقتضى ظاهرة الى أغراض بلاغية متنوعة ، وهذه من مميزات أسلوب الحريري وفنياته في بناء هذا النوع من الجمل

ويستخدم الحريري أداة استفهام (أيّ) التي تختلف عن بقية الكنايات الاخرى ، كونها معربة يخضع آخرها لتأثيرات الحركة الاعرابية ، ومن ذلك قوله :

" و أَيُّ حَادِثَةٍ نَجَمَتْ ، وقَضِيَّةٍ اسْتَعْجَمَتْ ، حَتَّى هَاجَتْ لَكَ الأَسَفَ عَلَى فَقْدِ مَا سَلَفَ ؟ " (1)

قسم الحريري التركيب الى ثنائيتين من حيث التآلف والانسجام ، فالثنائية الاولى انتهت بفعلين ، اتفقا في المقطع الأخير (جمت ، جمت) ، أما الثانية انتهت

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 63

البنيـة الاولى منهـا باسم والثانيـة بفعـل اشتركـا في الحرف الاخيـر (أسف ـ سلف) . وهـذا التـداخـل في البنى التركيبية يكشف عـن مقدرة لغويـة ، ويبيّن " أن العمـل الادبي أكثـر من أي نص لساني آخـر لا يتكون من كلمـات فقط ، وانما مـن جمـل وتراكيب " (1)

وقعت (أيّ) الاستفهـاميـة في صـدر التراكيب موضوعـة على أنهـا مبتـدأ ، وهي تقـع اما مرفوعـة على أنهـا مبتـدأ ، أو منصوبـة على أنهـا مفعـول بـه ، أو مفعـول مطلق ، اذاوليها مصـدر ذكر فعلـه في التركيب (2) مثـل : " وسيعلـم الذيـن ظلموا أيّ منقلب ينقلبـون " (الشعراء : 227)

ومـن معـانيهـا أنهـا جاءت لتعظيـم مـا أضيفت اليـه ، وانكـار الفعـل الـواقـع بعـدهـا ، لانـه مـا كان ينبغي ليقـع مع توبيخ المتحدَّث عنه والتعجب من فعلـه (3)

يتسـاءل الحريري وينكـر وقوع حـادثـة أو استفهـام قضيـة تهيـج وتثيـر الحزن على مـا مضى ، وسيق ، ويتعجب مـن

---

1 - Qu'est ce que le structuralisme - P : 39

2 ـ أساليب الاستفهام في القرآن ـ ص: 174

3 ـ يراجع : أساليب الاستفهام في القرآن ـ ص. 161

تهويل الامر المستبعد حدوثه . ولزمت (أيّ) صيغة الافراد والتركيز في التركيب ، مهما يكن المضاف اليه (1) وهناك آراء تقول بتأنيثها ، وقد جاء ذلك في القرآن " وما تدري نفس بأية أرض تموت " (لقمان : 34)، فقد جوزالرضي الحاق التاء بها اذا أريد بها مؤنثا ، استفهاما كان أو موصولا (2) .

لقد وردت جميع عناصر العملية الاسنادية التي تضمنها النمط مفردة ، تظهر مرة واحدة في كل عملية وفي جميع الامثلة الاستفهامية التي ذكرنا ، سواء تلك التي بدئت بالحرف أو الكناية ، فان الرتبة في جميع الامثلة هي بدون منازع لأدوات الاستفهام التي أدت وظيفة المتمم في التراكيب ، أما المسند فقد جاء في الرتبة بعد المضاف (حادثة)

ونشير في الاخير الى ما لاحظناه عند دراستنا لعناصر الاسناد في الجملة الاستفهامية ، أنها وردت متآلفة منسجمة تربطها علاقات نحوية ، حيث كان المسند (الفعل)

---

1 - يراجع - أساليب الاستفهام في القرآن - ص: 163
2 - انظر - شرح الكافية - 2 / 41

هو المحور الرئيسي الذي تنجذب اليه سائر العناصر ، فتشكل علاقة نحوية ولغوية لهما فائدتهما الابلاغية

لم تكن دراستي مركزة على نوع خاص من الجمل المستخدمة في مقامات الحريري وانما كانت عبارة عن دراسة نماذج لمختلف الانواع الجملية قصد الوقوف على الكيفية التي ركبت بها ، والوظيفة التي تؤديها ، والغاية التي كان يهدف اليها الحريري من خلالها ، كي ترتسم في ذهني صورة مكتملة على خصائص التركيب المستعمل في مقاماته ولو تتبعت نوعا خاصا من الجمل في مقاماته لما استطعت الخروج منه الا بعد الوقوف على كل ما جاء في النحو العربي .

3 - جملة القسم

القسم : أسلوب من الاساليب العربية المؤكدة للكلام وهو يقصد به توكيد الكلام بجعل لفظ الله حكما ،و مقياسا يقاس عليه صدق الحديث أو كذبه ، وهو في نظر النحاة وعلماء الكلام أعلى درجات التوكيد ، ويؤكد المتحدث مضمون كلامه بواسطة أدوات توكيدية ، وغالبا ما يستخدم (ان) و لام التوكيد في أسلوب القسم أو استعمالهما معا في التركيب نفسه (1)

ويشتمل أسلوب القسم على جملتين : جملة القسم ، وجملة جواب القسم .

1 - جملة القسم ، وتكون اما اسمية أو فعلية :

أ - الاسمية : وهي التي تبتدئ باسم وتأتي على نوعين :
- المبدوءة باسم خاص بالقسم ، نحو : أيمن الله - لعمرك، فالاسم الذي يتصدر جملة القسم في هذه الحالة يعرب مبتدأ وأما خبره فمحذوف وجوبا ، تقديره : (قسمي)

---

1 - التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري - ص: 187 - 188
عن : الاتقان في علوم القرآن - 4 / 46

- المبدوءة باسم غير مختص بالقسم نحو: عهد الله . في هذه الحالة أيضا يعرب الاسم مبتدأ ويجوز اثبات الخبر أو حذفه .

ب - الجملة الفعلية : وهي التي تبتدئ بفعل نحو : أقسم بالله ، أحلف بالله (1)

2 - جملة جواب القسم : كذلك قد تكون اسمية وفعلية :

أ - اسمية : نحو قوله تعالى : " والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين " (يس : 1)

ب - وفعلية - : نحو قوله تعالى " وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت " (النحل : 38)

كما يمكنها أن تأتي شرطية ، فاذا تقدم على القسم شرط امتنع حذف جواب القسم لدلالة جواب الشرط عليه نحو: لو سألته لأجابك والله ، فجواب القسم هنا محذوف وجوبا ولا يجوز تقديره

فجملة القسم اذن تتألف من جملتين صغيرتين أولاهما

---

1 - مختصر النحو - ص : 216 - 218

جملة القسم وثانيتهما جملة جواب القسم ، نحو : أقسم بالله لأفعلنّ الخير . فجملة أقسم بالله ، هي جملة القسم وجملة : لأفعلنّ الخير ، هي جملة جواب القسم ، ومجموع الجملتين هو جملة القسم الكبرى

ويتنوع القسم بين الطلبي والخبري ، وقال بعضهم بالتعجبي (1) .

وقد تستعمل في القسم أدوات تسمى أدوات القسم وهي : الباء والواو والتاء

قال الخليل : " انما تجيئ بهذه الحروف لانك تضيف حلفك الى المحلوف به ، كما تضيف مررت به بالباء الاّ أن الفعل يجيئ مضمرا في هذا الباب " (2)

والواو أكثر حروف القسم مجيئا ، والباء أقل من الواو والتاء لا تدخل الاّ في واحد ، وهو الاسم (الله) ، قال تعالى: "وتالله لأ كيدن أصنامكم " (الانبياء : 57) هذه الحروف ذكرها الحريري بشيئ من التفصيل (3)

والى جانب هذه الحروف التي ذكرناها الداخلة على كل

---

1 - مختصر النحو - ص: 217

2 - الكتاب - 2/ 144

3 - الملحة - ص: 12

مقسم به فهناك حروف أخرى تدخل على المقسم عليه ، أي جواب القسم ، وهي أربعة : اللام ، وان ، ما ، ولا ، فان كان المقسم عليه مثبتا فان الحروف التي تدخل عليه هي : اللام ، وانّ ، نحو : والله لانسان فاضل . ونحو : قوله تعالى: " والعصر ان الانسان لفي خسر (العصر : 1)

اما اذا كان جواب القسم منفيا فان الحروف التي تدخل عليه هي : ما ، ولا ، نحو : والله ما أنا كاذب ، ونحو : والله لا قصرت في القيام بواجبي (1)

ويستعمل القسم لابعاد الشك و توكيد الكلام ، لأن فيه اشعارا من جانب المقسم بأن كلامه مؤكد ولا شك فيه .

وتنوعت أساليب القسم عند الحزيري مما ساعد مقاماته على التنويع في الكلام ، وذلك اما بذكر لفظ الجلالة صراحة ، واما بذكر صفة من ضفاته ، بحيث يحذف الموصوف وتقوم الصفة مكانه ، وقد ينتقل القسم الى استحلاف ، فيصبح المخاطب محل التصديق والتكذيب ، وقد يقسم بالافراد والعباد .

---

1 - علم المعاني - ص: 61

يقول الحريري : " وَاللَّـهِ مَا تَأَوَّهِي مِنْ عَيْشٍ فَاتَ ، وَلَا مِنْ دَهْرٍ افْتَاتَ ، بَلْ لانْقِرَاضِ العِلْمِ ودُرُوسِهِ ، وأُفُولِ أَقْمَارِهِ وَشُمُوسِهِ " (1)

اشتمل أسلوب القسم على جميع أركانه ، أداة القسم وجملة القسم وجملة جواب القسم ، فقد أقسم الحريري بلفظ الجلالة لدفع الشك ، وليلفت الانتباه الى ماسيأتي بعد القسم من أمر عظيم يستحق توجيه الاسماع اليه ، وقد جاء الجواب دالا على ذلك .

لقد قسم التركيب الى جزئين من حيث الدلالة والمعنى وكل جزء متكون من ثنائيتين من الجمل ، وبنية محوارية ارتبطت بها بنيتان فرعيتان. فجملة جواب القسم منفية تبعتها صفة تعلقت بالنكرة (عيش) والامر نفسه ينطبق على البنية الثانية .

أما الثنائية الثانية فقد جاءت مخالفة للاولى فهي مسبوقة بأداة عطف للاضراب ، وهو اضراب لفظي لا دلالي ، فقد جاءت البنية الاولى منفية من بدايتها ، مما يدل على أن ما سيأتي بعدها يكون مغايرا لها في المعنى .

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 63

والتحقيق التجانس الصوتي والسجع المتوازي فقد لجأ الحريري الى الاسلوب البياني معتمدا على التشبيه حيث كنى العلماء بالشموس والاقمار ، وبهذا تحقق له ما أراد .

وكما يذكر لفظ الجلالة صراحة قد يذكر احدى صفاته ، وتقوم هذه الصفة مكان اسم الجلالة ، وتؤدي المعنى نفسها الذي تؤديه كلمة (الجلالة) ، ومن ذلك قوله :

" فوالَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ ما لَكَ عِنْدِي مَبِيتُ " (1)

اكتفى الحريري في هذا التركيب بصفة من صفات الله وهي الاحياء والاماتة ، وقد استعمل واو القسم ، وهي الاكثر مجيئا في أسلوب القسم ، واسم الموصول ، وغرضه في ذلك التنويع في الاساليب ، وهذه الادوات من الوسائل التي تساعد التعبير في الامتداد وتسمح للجمل في التوسع والاطالة .

واتصلت بالموصول صلتان تشابهتا وزنا (يحي يميت) ، واختلفتا رويا . وجاءت جملة جواب القسم مسبوقة بنفي تأخر فيها المسند اليه عن المسند لكونه ظرفا ، وهذا التأخير اعتمده الحريري لتحقيق التناسق

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 70

الصوتي والتجانس اللفظي بين بنية القسم وجوابه (يميت - مبيت) . ونجد التركيب نفسه يتكرر في قوله :

" والَّذِي حَرَّمَ أَكْلَ الربَا ، وَأحلَّ أَكْلَ اللَّبَا ، مَا فُهْتُ بزُور ولا دلَّيتُكَ بغُرور " (1)

لم يظهر لفظ الجلالة في التركيب ، انما نابت عنه احدى صفاته وهي : التحليل والتحريم ، فالله وحده هو الذي يحلل ويحرم ، كما نجده يستخدم واو القسم أيضا التي لاتدخل الاّ على مظهر ولا تتعلق الاّ بمحذوف ، نحو: " والقرآن الحكيم " (يس : 1) ، وقد تلتها واو أخرى ، لكنها عاطفة وليست للقسم والاّ لاحتاج كل من المقسم به الى جواب . وكذا استخدامه لاسم الموصول"الذي " وهو من الوسائل التي تساعد على امتداد الكلام بالتعبير من ذكر الاوصاف قبل الوصول الى مضمون الخطاب .

فالوضعية الحرجة التي وجد الحريري نفسه فيها ، دفعته الى استعمال أعلى أساليب التوكيد لدفع الشك وازالة الانكار من ذهن المخاطب الذي كان في ريب شديد ونكران قوي . فلم يجد سوى أسلوب القسم مخرجا لتقرير الحقيقة ، لاغير في ذهن السامع ، فأكد جوابه بما لا يدع مجالا للشك ، ولايبقى على المتلقي توكيدا

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 67

آخر ينتظره ، وبهذا جاءت مرحلة التصديق المطلق والتكذيب القطعي ، حيث هش له المخاطب هشاشة المصدوق وانطلق معدا الى السوق .

وأراد أن يعطي التركيب نغمة موسيقية وتجانسا صوتيا عطف على البنية الاولى (حرم أكل الربا) بنية ثانية (أحل أكل اللبا) ، فتحقق له ذلك . ولو أن التناسق في هذا التركيب يبدو خفيفا مقبولا ، غير أن الحريري كان واقعا تحت تأثير قوي ، فرضته عليه ظاهرتا السجعة والجناس، فالتركيب القصيرة قد لا تحقق له ذلك ، واذا امتدت استطاع الاتيان بما يشاء من أساليب ، لان اللغة تطاوعت لديه .

أما جواب القسم فجاء جملة فعلية منفية (بما) ارتبطت بها جملة ثانية بغرض تحقيق الانسجام الصوتي على مستوى الفاصلتين (زور - غرور).

يعتمد الحريري على العنصر الموسيقي اعتمادا واضحا مع حرصه على هندسة الجمل والعناية الفائقة بالاساليب البديعية للوصول الى أنواع مختلفة من الانغام الصوتية .

وقد لايقسم بلفظ الجلالة ولا بصفة من صفاته ولا بالافراد والعباد وانما باستخدام صيغة من صيغ القسم كقوله :

" لَعَمْرِي لَقَدْ خَفَّفْتَ عَنِّي وَاسْتَوْجَبْتَ الحُسْنَى مِنِّي "(1)

لم يشتمل التركيب على لفظ الجلالة الذي يستعمل غالبا في أسلوب القسم وانما جاء بصيغة من صيغه التي ترد كثيرا في الاساليب العربية (لعمر) ، وتكون دائما مضافة الى اسم ظاهر أو ضمير متصل نحو: لعمر الله ، ولعمرك ، والتقدير يكون : لعمر الله ، ولعمرك قسمي ، أو يحييني ، أو ما أحلف به (2) .

والقسم ، على هذه الصورة فيه ضرب من التأكيد لان فيه اشعارا من جانب المقسم بأن ما يقسم عليه هو بدون شك أمر مؤكد عنده ، وهذا ما دفعه الى تأكيد كلامه متعمدا . فالقسم كان تأكيدا لما جنبه منه مرافقه من عناء حمل الوعاء .

وقد جاءت البنية الاساسية أحادية ، تفرعت عنها

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 88

2 ـ علم المعاني ـ ص: 77

بنيتان فرعيتان ، ربط بينهما التعاطف ، وتحقق الانسجام الموسيقي والتآلف المقطعي خاصة بين الفوصل (عني،مني) حيث بدأ بسيطا بين اللفظين(خففت ، أستوجبت) ليصبح أكثر قوة بين الفاصلتين (عني ، مني) ، وهذه النغمة الموسيقية الداخلية قد أعطت البنية رونقا وجمالا .

وقد يكون القسم بالفعل (أقسم) ، كما جاء ذلك في قوله : (1)

حللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرا م حيا لكانوا وابلا

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 87

4 - جملة الأمر و النهي

أولا : الأمر :

الاصل في الامر أن يتجه الى المخاطب على وجه الاستعلاء والالتزام ، كأن ينظر الآمر على أنه أرفع منزلة ممن يخاطبه ، " والخطاب بلفظة أفعل ، فلا يخلو أن يكون لمن دونك أو لمن فوقك أو لنظيرك ، فان كان لمن دونك سميته أمرا ، وان كان لنظيرك سميته مسألة ، وان كان لمن هو أعلى منك سميته طلبا " (1)

فان كان الامر موجها الى الله سبحانه سمي سؤالا ودعاء وطلبا ، " واعلم أن الدعاء بمنزلة الامر والنهي وانما قيل دعاء لأنه استعظم أن يقال أمر ونهى ، وذلك قولك : اللهم زيدا فاغفر له ذنبه ، وزيدا فاصلح شأنه وعمرا ليجزه الله خيرا " (2)

---

1 - المقتضب - 2/ 135

2 - الكتاب - 1 / 277

والدعاء هو الطلب على سبيل الاستغاثة والتضرع والعفو والرحمة باستخدام صيغة الامر يخاطب بها الادنى من هو أعلى منزلة وأعظم شأنا .

فقد ذكر الخليل أن لأسلوب الامر طريقين هما : فعل الامر والفعل المضارع المسبوق بلام الامر ، تقول : أضرب زيدا ، ولتضرب زيدا ، ويجوز أن يؤمر الغائب بادخال لام الامر على المضارع المسند الى الغائب ، تقول : زيدا ليضربه عمرو (1)

وبما أن الامر يطلب به الفعل لما لم يقع وما لم يقع لايكون الا في المستقبل ، وفي ذلك يقول سيبويه : وأما بناء ما لم يقع فانه قولك آمرا : اذهب ، واقتل ، واضرب (2)

وقد ذهب أبو العباس المبرد الى نفس ما ذهب اليه سيبويه حيث يقول : " انما الامر من الفعل المستقبل، لانك تأمره بمالم يقع "(4) .

وبهذا فان سيبويه قد جعل الامر دالا على الطلب

---

1 - نظام الجملة - ص 465
2 - ملحة الحريري - ص: 41
3 - الكتاب - 1 / 21
4 - المقتضب - 1 / 221

في المستقبل أصلا ، ولا يدل على الحال والماضي .

والامر لايكون الاّ بفعل ، وله أربعة صيغ تنوب كل منها مناب الاخرى في طلب أي فعل من الافعال على وجه الاستعلاء ، وهي : فعل الامر ، المضارع المقرون بلام الامر ، اسم فعل الامر ، المصدر النائب عن فعل الامر .

وقد يخرج الامر عن معناه الحقيقي للدلالة على معان أخرى ، كالدعاء والتماس والتمني والنصح والارشاد والتعجيز والتهديد والتسوية ... (1)

وقد تواترت التراكيب الامرية في المقامات الحريرية وتنوعت أسلوبا ، وساعدت في امتداد الجمل لتحقيق السجعة والجناس والتآلف والانسجام بين البنى النحوية وخاصة بصيغة فعل الامر .

" اعْلَمْ اِنَّي بِتُّ البَارِحَةَ حَلِيفَ اِفْلَاسٍ وَنَجِيَ وَسْوَاسٍ "(2)

استهل التركيب باستعمال الفعل (اعلم) وما بعده متعلق به على أنه مفعول به ، وجاء جملة اسمية منسوخة خبرها جملة فعلية مكونة من بنية محوارية (بتّ البارحةَ) ،

---

1 - علم المعاني - ص : 83

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 60

وبنيتيـــن فرعيتيـــن (حليف افلاس - نجي وسواس)

وفعـــل اعلـــم ، أراد بـــه جلب الانتبـــاه لمـــا سيأتي مـــن أمـــر عظيـــم يستحـــق تـــوجيـــه الاستمـــاع اليـــه ، وقد دل علـــى طلب أمـــر سيقـــع مستقبـــلا بعـــد الانتهـــاء مـــن التلفظ مباشرة

وقـــد اتفق المضـــاف اليـــه في كلتا البنيتيـــن في المقطـــع الاخيـــر (افلاس - وسواس) ، وقـــد خـــرج الامـــر الى الالتماس.

كما نجـــده يعطف أكثـــر مـــن فعـــل أمـــر كقـــولـــه :

" أكْـرِمْ مَثْـوَايَ ثُـمَّ استَمِـعْ فَتْـوَايَ " (1)

عطف على فعـــل الامـــر (أكـــرم) فعـــلا آخـــر (استمـــع) ، اتفق مفعـــول كـــل منهمـــا وزنـــا وتقفيـــة ، فتحقق سجعـــا متوازيـــا وتجـــانســـا صوتيـــا ، بحيث تشـــابهـــت جميـــع حروفهمـــا باستثنـــاء حـــرفي الميـــم والفـــاء (مثواي - فتواي) ، غيـــر أن هـــذاالاختلاف لـــم يـــؤثـــر لقـــرب مخرجهمـــا .

فالتركيب جـــاء بسيطـــا اشتمـــل على بنيتيـــن عطفت احـــداهما على الاخـــرى بواسطـــة (ثم) التي هي للترتيب ، فالامـــر وجّـــه للمخـــاطب حتى يكـــرم مثو ى ضيفـــه ويحســـن نزولـــه ثـــم الاستماع

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 64

الى ما يفتيه به .

وقد خرج الامر في هذه الجملة الى الالتماس لأن الفعل صادر عن النظراء المتساويين قدرا ومكانة .

" اعلمَ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ أنَّ الصِدْقَ نَبَاهَةٌ وَالكَذِبَ عَاهَةٌ (1)

استعمل فعل الامر (اعلم) وما بعده جملة اعتراضية (دعائية) لا محل لها من الاعراب ، وقد تأتي لتأكيد وتوكيد الكلام وتحسينه ، والجملة الاعتراضية تكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت جزأيه وليست معمولة لشيء منه (2) . فجملة (أَصْلَحَكَ اللَّهُ) اعترضت بين الفعل (اعلم) وما بعده متعلق به جملة اسمية في محل نصب مفعول اعلم ، مسبوقة بناسخ خبرها مفردة نَبَاهَةٌ .

والتركيب مكوّن من بنية محوارية : اعلم أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، تفرعت عنها بنيتان فرعيتان : الاولى (اِنَّ الصِدْقَ نَبَاهَةٌ) والثانية معطوفة عليها (وَالكَذِبَ عَاهَةٌ) ، واتفق الخبر في البنيتين وتشابهت أغلب حروفهما ، الامر الذي أحدث انسجاما وتجانسا صوتيا .

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 65

2 ـ همع الهوامع ـ 1 / 247

وقد خرج الامر الى النصح والارشاد ، فهويحمل بين طياته معنى النصيحة و الموعظة :

" أغْرَبْ عَفَاكَ اللهُ إلَى حَيْث شِئْتَ ولا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَبِيتَ"(1)

يتكرر التركيب نفسه ، حيث بنيت جملة الامر على جزء محواري تعلقت به بنيتان فرعيتان ، جاءت بعد الجملة الاعتراضية الدعائية ، لا محل لها من الاعراب ، والتي فصلت بين الفعل والجار والمجرور . وقد حققتا تجانسا صوتيا وتآلفا مقطعيا ، وقد خرج الا مر الى النصح والارشاد.

وقد يستخدم اسم فعل الامر في طلب أي فعل من الافعال على وجه الاستعلاء ، ومنه قوله :

" حَذَارِ مِنَ المُكَادَبَةِ حَذَارِ " (2)

بدئ التركيب باسم فعل أمر (حَذَارِ) مبني على السكون لامحل له من الاعراب ، أما الفاعل فضمير مستتر وجوبا تقديره (احذر أنت) ، وهو على وزن (فعال)، حيث يصاغ على هذه الهيئة من كل فعل متصرف تام . وسمي باسم الفعل لانه يدل على معناه وزمنه وعمله ، وهو لا يسمى اسما فقط لانه لا يدل على معنى في نفسه غير مقترن

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ 2 / 70

2 ـ المرجع نفسه ـ 2 / 66

بزمن ، كما لا يسمى فعلا فقط لانه لا يقبل علامات الفعل وهو لا يتأثر بالعوامل (1) .

فالتركيب البسيط قد تكررفيه اسم الفعل (حذار)، في الصدر والنهاية ، وهو لون من المحسنات البديعية رد العجز على الصدر ، وانما اعتمد ذلك تأكيدا بالوعيد كما يسميه اللغويون ، وحقق تنغيما موسيقيا . وعلى الرغم من ذلك لم يترك التركيب على هذه الحالة انما ربطه بجملة قبله (فَلاَ تُلْغِ تَدَبُّرَ الانْذَارِ) (2) ، ليتحقق التجانس الصوتيي والتآلف المقطعي بين (الانذار - حذار) . وقد خرج الامر الى التهديد حين استعمل الآمر صيغة الامر في مقام عدم الرضا منه ، تخويفا وتحذيرا للمخاطب ، للقيام بفعل أمر به (3) ، والامر موجه لمن لا يصدق القول .

" فَهَاكَ نَصِيحَةً هِيَ مِنْ نَفَائِسِ النَّصَائِحِ وَمَغَارِسِ المَصَالِحِ "(4)

استعمل اسم فعل أمر (هاك) جلب به انتباه السامع لامر قد يكون مقيدا عليه أن يعيه ، وتبعه بجملة

---

1 - التطبيق النحوي - 56
2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 66
3 - علم المعاني - ص : 87
4غع شرح مقامات الحريري - 2 / 88

مسجوعة مرصعة مسبوقة بضمير فصل لتوكيد الكلام ، وقد اشتمل التركيب على بنية محوارية أحادية سمح لها ضمير الفصل بالامتداد حيث تفرعت عنها بنيتان حققتا سجعا مرصعا وتجانسا موسيقيا قويا .

وقد خرج الامر عن معناه الاصلي الى النصح والارشاد كما قد تتعدد التراكيب الامرية في مقامات الحريري بعطف بنية على أخرى تشتمل كل منها على فعل أمر ، مما يساعد التركيب في الامتداد والتنوع ، ومن ذلك قوله :

" ليَقْرَأْ كُلٌّ مِنْكُمْ أمَ القُرآنِ ، كُلَّمَا أظَلَ المَلْوَان ، ثُمَّ لِيَقُلْ بِلِسَانٍ خَاضِعٍ ، وَصَوْتٍ خَاشِعٍ ، اللَّهُمَّ يَا مُحْيِي الرُفَاتِ ، ويا دافِعَ الآفَاتِ ، ويا وافِيَ المَخَافَاتِ ... صَلِّ عَلَى محمّد خَاتِمِ أنْبِيَائِكَ ، ومُبَلِّغِ أنْبَائِكَ ، وعَلَى مَصَابِيحِ أسْرَتِه ، ومَفَاتِيحِ نُصْرَتِه " (1)

امتد اسلوب الامر وطال ، عبر الحريري فيه عن الامر فيه بفعل مسبوق باللا م ، اتبعه بجملة ظرفية مصدرة (بكلما) حقق من خلالها التجانس المقطعي بين لفظتي (القرآ ن ، الملوان) ، وعطف فعلا آخر (ليقل) على التركيب ، ارتبطت به بنيتان مجرورتان ، حقق بهما كذلك تجانسا وتناغما

---

1 شرح مقامات الحريري - 2 / 9 .

موسيقيا (خاضع - خاشع) ، ومقولة القول فجملة ندائية مضمون الخطاب النداني فيها جملة مصدرة يفعل أمر (صل) دال على الدعاء لان الامر موجه الى الله سبحانه ، صادر من العباد الى الرحمن ، ثم اتبع الفعل (صَلِّ) بِجَمُوعَةٍ من المجرورات برز فيها السَّجعُ وتَحَقَّقَ الجِنَاسُ .

وعطفُ أَمَرٍ على آخرٍ أوْ أَكْثَر من التراكيب التي تواترت في المقامات وتنوعت وسمحت للجمل بالامتداد لتحقيق السجعة والجناس والتآلف بين البنى النحوية ، ومن ذلك قوله أيضا :

" مَزِّقُوا أدَمِي وَأَرِيقُوا دَمِي "(1)

" وشمِّر الذيل ، وبادر السيل " و " دعْنِي باللَّه كفافا واخْرُج عَنِّي مَا دُمْتَ مُعَافَى " (2)

" قال : أَخْزُنْهَا فِي تَامُورِكَ ، واقْتَدْ بِهَا في أُمُورِكَ ، وبَادِرْ إِلَى صَحْبِكَ فِي كَلَاءَةِ رَبِّكَ ، فَإِذَا بَلَغْتَهُمْ فابلغْهم تَحَيَّتِي ، واتْلُ عَلَيْهِم وَصِيَّتِي ، وقُلْ لَهُم عَنِّي ، إِنَ السَّهَرَ فِي الخُرَفَاتِ لِمَنْ أَعْظَمِ الآفات " (3)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2/ 8

2 - المرجع نفسه - 2/ 70

3 - المرجع نفسه - 2/ 91

ثانيا : : النهي :

يعتبر النهي من أنواع الاساليب الانشائية الطلبية ، وهو بمعنى الكف والامتناع عن اتيان الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام (1)

ولا يكون أسلوب النهي الاّ بادخال (لا) الناهية الجازمة وهي مصوغة لطلب الترك ، ويختص بدخولها على الفعل المضارع دون سواه ، وتقتضي جزمه واستقباله ، سواء كانت المطلوب منه مخاطبا نحو : " لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" أو نحو : " ولا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء " أو متكلما نحو: " ولا أرينك ها هنا أ (2)

والنهي محدو به حدو الامر في الاستعمال بنفس الشرط المذكور ، وقد يخرج هو الاخر عن معناه الحقيقي للدلالة على معان أخرى تستفاد من سياق الكلام ، فان استعمل على سبيل التضرع والعون والعفو والرحمة سمي (دعاء) ،

---

1 - علم المعاني - ص: 90

2 - مغني اللبيب - ص: 324

كقوله : " ربنا لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به " وان صدر عن شخص تساوى مع غيره قدرا ومنزلة ، سمي التماسا نحو قوله "يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي "

واذا كان موجها الى ما لايعقل خرج الى التمني ، وقديأتي وهو يحمل بين ثناياه معاني النصح والارشاد أو معاني التحقير والتيئيس والتهديد (1)

وقد تنوعت أساليب النهي في مقامات الحريري خاصة منها ذات المواضع الوعظية .

" فلا تلغ تدبر الانذار ، وحذار من المكاذبة حذار (2)

اشتمل التركيب على بنيتين فرعيتين بدئت الاولى باداء فهي يطلب بها الكف عن الفعل ، ويكثر دخولها على الفعل المضارع المخاطب ، وتنذر في المتكلم والغائب ، والقواعد النحوية تقتضي جزمه ، والفعل تُلغ حذف منه حرف العلة دلالة على جزمه وعطفت على الاولى بنية ثانية بواسطة واو الربط،تلاها مباشرة اسم فعل أمر بمعنى (تجنب) ، وبهذا يمكن القول ان التركيب احتوى على بنيتين احداهما تكونت من نهي والاخرى من أمر ، وكونتا معنى مشتركا ، خرج كل من النهي والامر الى التهديد والتحذير والتوعيد .

---

1 - علم المعني - ص: 91 - 95

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 66

وما يمكن استخلاصه أن النهي محدو به في الاستعمال حدو الامر ، غير أن الصيغة كافية في البنية الاولى لتحقيق النهي ، وان وجدت الصيغة الثانية الدالة على الامر ، فالنهي هنا أسبق في القصد والتركيب ، وقد ربط البنيتين لكي يحدث تقاربا وتجانسا ، فلا يكاد يحس المستمع بأدنى ثقل فالروي الموجود في كل فاصلة أبعد الاحساس بالنفور .

وغير بعيد عن هذا هناك بنية تختلف من حيث الترتيب البنيوي يقول : " أغربْ عفاكَ اللّهُ إلى حيثُ شئتَ ، ولا تَطْمَعْ فِي أنْ تَبيتَ " (1)

نفس التركيب السابق نجده يكرر حيث اشتمل على بنية محورية أساسية تفرعت عنها بنيتان بعد الجملة الاعتراضية (عفاكَ اللّهُ) التي لا محل لها من الاعراب ، فالجزء الاول من البنية قصد به الامر ، أما الجزء الثاني منها قد تضمنت النهي ، وقد خرج كلاهما الى النصح والارشاد .

أما الرّبْطُ فيُعْتَبَرُ من الوسائل المساعدة لخدمة الاغراض البديعية ، وهذا ما حدث بين البنيتين ، حيث الاجراس الموسيقية متوفرة بين الفاصلتين (شئت - تبيت)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 70

" لا تَزُرْ مَنْ تُحِبُ في كُلِّ شَهْرٍ غير يومٍ ولا تزِدْهُ عَلَيْهِ

فاجْتِلاءُ الهِلالِ في الشَّهْرِ يَوْمٌ ثُمَّ لا تَنْظُرُ المُعيونُ إليهِ (1)

اختلفت هذه البنى التركيبية عن سابقاتها ، فالبنية الاولى (لاتزر) لم تكتف بعناصرها الاساسية ،فقد حصلت فيها الاطالة ، فأضيفت اليها مجرورات عدة ، أما البنية الثانية (لا تزده) فقد اكتفت بعناصرها الاساسية من فعل وفاعل ومفعول وفضلة .

واتبع جملة النهي بأخرى توضيحية متممة ، لايكتمل المعنى ويتضح الا بذكرها ، تكونت من بنيتين فرعيتين ، فالاولى اشتملت على عنصري الاسناد المبتدأ والخبر فصلت بينهما جملة اعتراضية ، ثم عطفت عليها الثانية التي اكتفت بعناصرها الاساسية المسند والمسند اليه ومتمم .

واذا أردنا ربط البنى المختلفة وجدنا تشابها واحدا حاصلا في الجناس بين (عليه - اليه) فغياب نغمة موسيقية قوية في مقاطع الكلام يفسر اعتناء الحريري بالمعنى بدل الصنعة ، فلأهميته جعله بسيطا لكنه يحمل معنى كبيرا والنهي هنا قد خرج الى النصح والارشاد

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2/ 73

" لاتوغلنَ إذَا مَا سَبِحْتَ فإنَ السَّلامَةَ فِي السَّاحِلِ

ولا تُكثرنَ على صَاحِبٍ فَمَا مَلّ قَطُّ سَوى الوَاصِل(1)

مجموعة من البنى التركيبية اسنادية ، فالبنية الاولى (لاتوغلن) فيها نهي ، اكتفت بعناصرها وتعلقت مباشرة بجملة ظرفية مصدرة باذا ، اضافة الى عناصرها المباشرة فالنهي الذى دخل الفعل المضارع (توغلن) يطلب به الكف عن اتيان الفعل من قِبَلِ المخاطب ، جاء مجزرما بالفتحة عوضا عن السكون ، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، لامحل لها من الاعراب .

أما الجملة الثانية من هذه البنى فقد اشتملت على أداة النهي التي تصدرت الفعل المضارع (تكثرن) المؤكد بنون التوكيد الثقيلة المجزوم بالفتحة عوضا عن السكون ، ارتبطت بها بنية ثانية اشتملت على ركني الاسناد واستثناء .

فمن خلال تأملنا لهذه البنى المختلفة فلا يمكننا العثور على أي تماثل بين الفواصل ذلك أنَ الكَاتِبَ اتَجَهَ الى المعنى دون الشكل والفكرة دون الصنعة ، فبسط المعنى لاهميتة النصيحة والارشاد .

---

1 - المرجع السابق - 2 / 89

الفصل الثاني

الخصائص اللفظية والمعنوية في مقامات الحريري

دراسة بلاغية

- مدخل الى علم البلاغة

- أولا : الخصائص اللفظية وأثرها في التركيب اللغوي في مقامات الحريري

- ثانيا : الخصائص المعنوية وأثرها في التركيب اللغوي في مقامات الحريري

مدخل الى علم البلاغة :

لقد تضافرت جهود النحاة والبلاغيين جيلا بعد جيل على بحث مختلف قضايا أصول البلاغة ، وابراز عناصرها المتنوعة ، دون العناية بالتنظيم أو التبويب (1) ، ثم بدأ الاهتمام يتجه نحو تجميع العناصر البلاغية المتفرقة التي تمت الى أصل واحد والتأليف بينها . فقد كانت أول الامر وحدة شاملة بلا تحديد ولا تمييز ، ولعل خير شاهد على ذلك كتب المتقدمين من علماء العربية ، وهي تحمل خلطا في المسائل البلاغية ، بعضها ببعض (2) .

ثم أخذ الاهتمام بالبلاغة ينحو منحى التخصص والاستقلال ، اذ جمع عبد الله ابن المعتز (ق : 3) جميع فنون البديع المتفرقة في أمهات الكتب العربية وألف منها أول كتاب ، أعلن به ميلاد (علم البديع) واستقلاله ، ثم جاء في القرن الخامس الهجري عبد القاهر الجرجاني ، الذي عرف على يده هذا العلم

---

1 - يقع في هذا المجال بحث الدكتور مختار بوعناني (الدراسة الصرفية بين المازني وابن مالك - مقارنة في المنهج والمحتوى) وهو رسالة نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الزقازيق عام 1990 .

2 - انظر : عبد السلام المسدي - الاسلوبية والاسلوب - الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس - ط2 - 1982 - ص: الفصل الاول والثاني

دفعا قويا الى الأمام ، فوضع نظرية (علم المعاني) في كتابه (دلائل الاعجاز) ونظرية (علم البيان) في كتابه (أسرار البلاغة) . وهو بذلك يعد رائدا في مجال هذين العلمين (1) .

وان كان الجاحظ ، كما أشار طه حسين هو واضع أساس علم البيان ، فان عبد القاهر الجرجاني ، هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه (2) .

وهو - بهذا العمل - شق طريقا لكثير من رجال البلاغة من بعده(3) فأتموا البنيان الذي رسم حدوده ومعالمه ، وأرسى قواعده وأركانه . وانحصرت جهودهم في جمع قواعد علوم البلاغة ، التي وضعها هذا العالم ورتبوها ، وجعلوا لها أبوابا .وغالبا ما كانت تختصر هذه القواعد ، فيكتنفها الغموض مما يجعلها في حاجة الى وضع شروح ، توضح غموضها وتذلل صعابها .

فالجرجاني عاش في عصر بدأ الضعف يدب فيه الى اللغة ، وهي لا تزال في أوج قوتها وعنفوان شبابها حين انصرفت عناية الكتاب والادباء الى اللفظ دون

---

1 - في تاريخ البلاغة العربية - ص : 246

2 - المرجع نفسه - ص: 246

3 - انظر مثلا : محمد عبد المطلب - البلاغة والاسلوبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1984 - 22 - 42

المعنى ، عندما وجدوا أنفسهم أمام قوانين وأحكام نحوية " ومدلول الالفاظ المفردة ، والجمل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ومغازي التراكيب ، وعدم الحفاوة بتصريف مناحي القول وصوره المختلفة " (1) .

حز في نفسه أن يرى هذا الفساد يتسرب الى أساليب اللغة ، فأشفق منه ، ودوّن أصول البلاغة صيانة لها ، كما أشفق من قبله الغيورون من علماء العربية على اللغة من ظهور اللحن فيها ، فهبوا الى وضع قواعد وأحكام ، حفاظا على سلامتها وعذوبتها وعصمة للالسنة من الخطأ والزلل .

وقد تعرض الجرجاني الى التصدي لنظريتين قديمتين احداهما أن بلاغة الكلام في اللفظ ، والاخرى أن بلاغة الكلام في المعنى ، وانتهى ألى نظرية خاصة ، مختلفة أصلا ، قائلة ان بلاغة الكلام ليست في اللفظ ولا في المعنى ، وانما في اللفظ والمعنى معا ، فالفصاحة لا تكون في الكلمات المفردة ، بل تكون في ضمّ بعضها الى بعض (2)

---

1 - في تاريخ البلاغة العربية - ص : 247

2 - للتوسع انظر :

- مصطفى ناصف - نظرية المعنى في النقد العربي - دار القلم القاهرة 65 19 ص: 20 - 41
- لطفي عبد البديع - التركيب اللغوي للادب - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1970 - ص : المقدمة

وجملة الامر لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها ، فاذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى : " واشْتَعَلَ الرأسُ شيباً " (مريم : 4) انها في أعلى المرتبة في الفصاحة ، ولم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولا بها (الرأس) معرفا بالالف واللام ، مقرونا اليهما (الشيب) منكرا منصوبا (1)

قد نقول هذا لفظ فصيح ، ولا نقول هذا معنى فصيح ، وفصاحة اللفظ ، في الحقيقة ، عائدة الى معناه " فاللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضوع ، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير " (2)

وجملة الامر ان البلاغة في ضمّ الالفاظ بعضها الى بعض " وتعليق بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض" (3) , علما بأن (دي سوسير) قد أكد

---

1 - دلائل الاعجاز - ص : 308 - 309

2 - المرجع نفسه - ص : 307

3 - موجز شرح دلائل الاعجاز - ص: 42

هذه القاعدة اللغوية أخيرا فيما دعاه (نظرية النسق اللغوي) (1) .

فالبلاغة هي عبارة عن مزية أفادها المتكلم ولما لم تزد افادته في اللفظ شيئا لم يبق الا أن تكون عبارة عن مزية في المعنى ، وقد رجعت المزية الى حسن الاختيار في النظم (2) ، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه .

وبتعبير آخر ، فالبلاغة انما هي في العلاقة بين الالفاظ في العبارات من جهة وبينها وبين المعنى من جهة أخرى (3) . وقد سمى عبد القاهر الجرجاني هذه العلاقات بالنظم (4) ,

وقبل أن نفارق عبد القاهر الجرجاني لا يسعنا الا أن ننوه بجهوده المضنية في حقل البلاغة ، وأن نعترف أنها ترعرعت وازدهرت على يديه ، حيث رسم حدودها وأبعادها ، وأقام على الطريق معالمها ، وبث فيها

---

1 - SAUSSURE (F . D) - Cours de linguistique générale éd , Payot , Paris 1986 ,

2 - احمد الشايب - الاسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الادبية - مكتبة النهضة المصرية - ط6- 1966- الفصل 1

3 - انظر : عبد السلام المسدي - المرجع السابق - المقدمة

4 - انظر : دلائل الاعجاز و واسرار البلاغة

من فكره الخصب ما أثراها وأضاء جوانبها ، فسار على نهجه كثير من علماء البلاغة ، يلتقطون ما جاء به ، فيتوسعون فيه ويبنون عليه (1) .

وظلت البلاغة ماضية في طريق النمو والتطور الذي عبده لها عبد القاهر الجرجاني .

ثم جاء بعده عالم جليل ، انتهج نهجه وتتلمذ في كتابيه : (دلائل الاعجاز)(أسرار البلاغة) ، ذلك هو جاد الله الزمخشري ، الذي تعمق في فهمها واستيعابها مما ساعده على تأليف كتابه (الكشاف) ، الذي قرر في مقدمته أن المفسر لا يكفي أن يلم بالفقه أو النحو أو اللغة أو علم الكلام أو القصص والاخبار ، وانما ينبغي فيمن يتصدى له أن يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما : علم المعاني وعلم البيان (2) .

وتأثره ببلاغة عبد القاهر الجرجاني بماد في كتابه (الكشاف) ، اذ نجده يستمد قواعده ملتمسا لها الشواهد من القرآن الكريم ، فمثلا في ميدان علم المعاني نجده يعرض للايجاز والاطناب وأنواع

---

1 - مصطفى ناصف - اللغة بين البلاغة والاسلوبية - النادي الادبي بجدة - السعودية 1989 - ص : 425 - 446

2 - فندي هزاع نصر - الاستعارة بين النظرية والتطبيق - بحث لنيل الماجستير - مخطوط بمكتبة جامعة عين شمس - 1977 - ص : 229 - 280

كل منهما ، وأغراضه البلاغية ، والتقديم والتأخير في المسند اليه (1) ، والاغراض التي قد تلحق به في حالة تنكيره وتعريفه .

كما يعرض للاساليب الخبرية والانشائية من أمر ونهي و استفهام ونداء وتمنوللمعاني البلاغية الاخرى التي قد يخرج كل منها عن معناه الاصلي للدلالة عليها ، وكذا القصر والوصل والفصل (2) .

أما في ميدان علم البيان فانه لا يقف عند مباحث عبد القاهر الجرجاني ، بل اضافة الى ما فطن اليه ، فهو يستكمل الناقص ، ويفصل المجمل، ويوضح المبهم ، ويتوسع فيما يتطلب ذلك . وساعده على ذلك حسه الفني الذي امتاز به برغم نشأته الفارسية ، وما أوصله اليه اجتهاده من محاولات متكررة للكشف عن أسرار هذا العلم (3)

لقد تعرض للكناية وفرق بينها وبين التعريض والاستعارة ، على اختلاف أقسامها : من تصريحية ومكنية ، وأصلية وتبعية وتمثيلية

---

1 ـ لقد بحث هذا الموضوع أحمد فراجي ـ انظر بحثه في مكتبة معهداللغة والادب العربي ـ جامعة تلمسان ـ 1993

2 ـ في تاريخ البلاغة العربية ـ ص : 184-159

3 ـ المدخل الى دراسة البلاغة العربية ـ ص : 184

والتشبيه بكل صوره ، والى المجاز المرسل والعقلي ...

وفي ميدان علم البديع فقد كانت اشارته الى ما ورد في بعض ما جاء من الذكر الحكيم ، من فنون البديع ، ولم تكن مساهمة الزمخشري خدمة مباحث هذا العلم بمقدار ما كان القصد من ورائها بيان أثرها في بلاغة القرآن الكريم واعجازه (1) .

ان البديع لم يحظ بالعناية والاهتمام من قبل كبار البلغاء ، فالجرجاني مثلا ، عندما تعرض في كتابه (أسرار البلاغة) للجناس والسجع وحسن التعليل والطباق ، كان حديثه في معرض الاستدلال على نظريته في نظم الكلام ، وهو بالنسبة اليه لا يدخل في بحث الاعجاز القرآني ، وما ورد منه دون قصد وتكلف(2)

ونأتي الى أحد أعيان رجال البلاغة في القرن السابع الهجري وهو (أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي) ، وشهرته في هذا الميدان تعود - في حقيقة الامر - الى

---

1 - في تاريخ البلاغة العربية - ص: 263 - 265

و - فندي هزاع نصر - ص : 270 - 280 .

2 - للتوسع انظر مثلا : أحمد الصاوي - النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني - الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1979 ص: 120- 151

القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) الذي تضمن علمي المعاني والبيان ، وألحق بهما مبحثا عن البلاغة وآخر عن فنون البديع اللفظي والمعنوي .

كما أن عمله ليس ابتكارا خالصا ، انما هو تلخيص دقيق ، يجمع بين أفكاره الخاصة وأفكار غيره ممن سبقه في هذا الميدان

ما تجدر الاشارة اليه في هذا العمل ، فلعله كان أول من نظر في المحسنات البديعية بامعان وقسمها الى محسنات بديعية وأخرى لفظية ، وهو أمر يحسب للسكاكي ، لأن من تقدموه أوردوها مختلطة ولم يحاول أحدهم التفريق بينها ، كما فعل هو(1)

ونستطيع أن نتبين بوضوح أن علم البلاغة ظهر أساسا لمعالجة قضية الاعجاز القرآني ، تماما كما فعل النحاة ، وقد صنفت كتب كثيرة لبيان وجوه الاعجاز ، اعتمدت على علوم البلاغة من معان وبيان وبديع ، ومعظم الكتب البلاغية التي وصلتنا نجدها تعرض للاعجاز ، بمعنى أن الاهتمام بقضية الاعجاز في القرآن يكون هو السبيل الى نشأة علم البلاغة العربية

---

1 - المختصر في تاريخ البلاغة - ص : 50

وتطـــورهـــا الســـريـــع (1)

وأخـــذ البحث في البـــلاغـــة ينمـــو ويتطـــور منـــذ أن نشـــأ في أوائـــل القـــرن الثـــاني الهجـــري الى أن وصـــل ذروتـــه في أواخـــر القـــرن الخـــامس وأوائـــل القرن السادس وكـــان ذلك على يـــد كـــل مـــن عبـــد القـــاهـــر الجرجـــاني والزمخشري ولـــم يكتب للبـــلاغـــة النجـــاح بعـــدهمـــا ، ولـــم يشـــأ لهـــا أن تستمـــر في ذلـك التطـــور الـــذي عرفتـــه على يديهمـــا ، بـــل سلكت مسلكـــا آخـــر قـــادهـــا تـــدريجيـــا الـــى التـــأخـــروالجمود خـــاصـــة مـــع بـــدايـــة القـــرن السابع عنـــدمـــا جـــاء رجـــال البـــلاغـــة وبيـــن أيـــديهـــم ثمـــار الجهـــود البـــلاغيـــة التي بـــذلهـــا هـــذان العـــالمـــان ، فبـــدل أن يـــواصلـــوا الجهـــود في اثـــراء البـــلاغـــة والسيـــر بهـــا قـــدمـــا نحـــو النمـــو المطـــرد ، وقفـــوا مذهـــوليـــن ، مبهـــوريـــن أمـــام بـــلاغـــة الرجليـــن ، فلـــم يبذلـــوا جهـــــدا ولـــم يضيفـــوا جـــديـــدا (2)

وبهـــذا الموقف فقـــدت البـــلاغـــة حـــرارتهـــا وأســـن مـــاؤهـــا ، ممـــا جعلهـــا تعرف جمـــودا وتقمـــا تحت وهـــم أن المتقدميـــن لـــم يتركـــوا للمتـــأخريـــن شيئـــا (3)

---

1 ـ صلاح فضـــل ـ علـــم الاسلوب : مبـــادئه واجـــراءاتـــه ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ص: الفصل الاول

2 ـ المختصر في تاريخ البلاغـة ـ ص: 267

3 ـ المرجع نفســه ـ ص : 268

تحت هذا الوهم ركدت حياة الادب وكادت تصيب العقول بالشلل عندما انصرفت اهتمامات البلاغيين الى الزينة اللفظية والنغمة الموسيقية ، دون نظرة واعية الى الفكرة (1) . أما المضمون فكان استلهام الصناعة والبديع أكثر من استلهام الاصالة والابتكار ، وبذلك يتحول الادب الى هيكل مزخرف لا حياة فيه ، يثير العجب بدل الاعجاب به (2).

من المعروف أن علم البلاغة تجمعه أقسام ثلاثة هي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ويجمعها تعريف واحد هو : مراعاة المقال لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأن يتوفر لديها عناصر التأثير والاقناع والحسن .

ولو حاولنا تفسير معنى كل علم من علوم البلاغة لوقفنا على مواطن مشتركة بين جزئياتها :

فعلم المعاني يختص بدراسة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (3) ، وتكون هذه الاحوال في الافراد والتركيب للكلمة ، وكذا الكلمات مجتمعة في

---

1 - للتوسع انظر : مصطفى ناصف - الصورة الادبية - مكتبة مصر القاهرة 1958 - ص : 46 - 87

2 - المختصر في تاريخ البلاغة - ص : 268 - 269

3 - التلخيص في علوم البلاغة - ص : 37

صور مركبة (1) .

وعلم البيان يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة عليه (2) .

والدلالة في مفهومها الخاص والعام ، مع مراعاة المقاييس النحوية والصرفية ، ترتبط ارتباطا وثيقا وواضحا بعلم المعاني (3) . ولهذا اعتبر السكاكي أن البلاغة تقوم على علمي البيان والمعاني ، وأطلق عليهما اسم (علمي المعاني والبيان)، واعتبر المحسنات اللفظية والمعنوية من توابع العلمين السابقين (4) .

وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (5).

---

1 - للتوسع انظر : فايز الداية - علم الدلالة العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ص : 11 - 93

2 - التلخيص في علوم البلاغة - ص 13

3 - انظر - علم الدلالة العربي - ص : 271 - 273

4 - السكاكي - مفتاح العلوم - ص 200

5 - التلخيص في علوم البلاغة - ص : 347

فجميع أصناف علوم البلاغة توافرت لها المطابقة ووضوح الدلالة . ويضم عبد القاهر الجرجاني التحسين والسجع ، وهما من ضروب البديع الى الحسن الذاتي الذي يراه جمالا للشعر والنثر، ويعتبران من دعائم نظرته في (النظم) .

وبهذا المفهوم نستطيع القول بأن علم البديع من أسس علمي المعاني والبيان في وحدة المفهوم واشتمال الدلالة

وقد اشترط الجرجاني لضم التجنيس والسجع الى البلاغة الغربية شروطا منها أن يكون المعنى هو الذي يطلب اللفظ ، ويكون من هذه الوحدة بين المعنى واللفظ ، بافادة في الفهم ، والابانة في الغرض والقرب في الغاية ، وهذا يستدعي ترتيب المعاني في الذكر كترتيبها في الفكر ، على أن يقع هذا الترتيب موقعا حميدا من العقل (1) .

بدأ الاهتمام يتجه أساسا الى علم البديع في نهاية القرن الرابع الهجري ومطلع القرن

---

1 - دراسة في اللغة البلاغية - ص : 17

الخامس ، اذ ألف فيه كبار رجال البلاغة واستخدموا له أنواعا جديدة من المحسنات اللفظية ، وان كان الفضل في ذلك يعود الى ابن المعتز (ت : 296 هـ) الذي قام بأول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع ، بوصفه أول كتاب في هذا اللون ، سار على نهجه البلاغيون والنقاد من بعده ، وأضافوا اليها ما استكملوا به مباحث هذا العلم وقضاياه ، ونذكر منهم قدامة بن جعفر (ت : 337) ، صاحب كتاب (نقد الشعر) وأبو هلال العسكري (ت : 382) ، صاحب كتاب الصناعتين ، وابن رشيق القيرواني (ت : 464) صاحب كتاب العمدة ، وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471) والزمخشري (ت: 538) ، و غيرهم (1) .

والبديع ، كما عرفه الخطيب القزويني ، في كتابه (التلخيص) هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (2)

أما عند ابن خلدون فهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه ، بنوع من التنميق ، اما بسجع

---

1 ـ علم البديع ـ ص : 7 ـ 29

2 ـ في تاريخ البلاغة العربية ـ ص : 46 ـ 101

يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو توريـة على المعنى المقصود بايهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق بالتقابل بين الاضداد ، وأمثال ذلك (1) .

---

1 - المقدمة - ص 1066

أولا : الخصائص اللفظية و أثرها في التركيب اللغوي في مقامات الحريري

الجناس :

من أنواع البديع الاكثر انتشارا وذيوعا في أعمال الادباء ، الجناس . وقد ظهر على وجه الخصوص عند أصحاب المقامات حيث تعتبر ميدانه الفسيح ومرتعه الخصيب ، وقد استخدمه الحريري في مقاماته بشكل يثير الانتباه ، فلا تكاد تخلو مقامة واحدة منه بل جميعها مبنية على أساسه ، وهو بالنسبة اليه أعلى أنواع وضروب البديع .

ونظرا لهذه الخاصية التي ميزت مقاماته ارتأينا أن نقف على مختلف أنواع هذا اللون البديعي المستعمل لديه ، وكذا الاغراض البلاغية الكامنة من ورائها ، علما أن أصحاب المقامات كان اهتمامهم الارتقاء بأساليبهم البيانية والبديعية الى مراتب عليا ، تدل على قوة ادراكهم لاسرار البلاغة التي تكسب

القـــول جمـــالا وتـأثيـــرا في النفس (1)

والجنـاس كما يعرفـــه ابـن المعتـــز هـو " أن تجيء الكلمـــة تجـانس أخـــرى في بيت شعـري وكـــلام ، ومجانستها لهـــا أن تشبههـــا في تـأليف حـروفهـــا على السبيـــل الـــذي ألـــف الاصمعـي كتـاب الاجنـاس عليهـا "(2) .

وأمـا الخليـــل فقـــد أطلق عليـــه اســـم الجنس حيث قـــال الجنـــس لكل ضـرب مـــن النـاس والطيـــر والعروض والنحـــو ، فمنـــه مـا تكـون الكلمـــة تجـانس أخـــرى في تـــأليـف حـــروفهـا ومعنـاهـا أو يشتـق منهـا مثـــل قـــول الشـاعـــر :

- (يـوم خلجت على الخليـــج نفوسهـــم)

- وقولـه تعالى : " وأسلمت مـع سليمـان للـــه رب العـالميـن" (النمـل : 27)

- وقولـه (صلعم) : " عصيـــة عصت اللـه وغفـار غفـر اللـــه"

- وقولـه (صلعم) أيضـا : " الظلـم ظلمـات "(3)

لـم يفصـــح ابـن المعتـــز في كـلامـــه ان كـــان

---

1 - انظر : مجيد عبدالحميد نـاجي - الاسس النفسيـة لاسـاليب البلاغة العربيـة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع بيروت 1984 - ص : 15 - 37

2 - كتاب البديع - ص : 25

3 - المرجع نفسه - ص : 26

التجانس بين الالفاظ يقتصر على الحروف فقط ، أم يمتد الى الدلالة أيضا ، غير أننا نجد الخليل قد وضح هذا الامر عندما قال : " الكلمة تجانس أخري في تأليف حروفها ومعناها " . فالجناس اذن هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى ، وهذان اللفظان يسميان ركني الجناس ، ولايشترط فيهما تشابه جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما يعرف به المجانسة .

وللجناس قسمان ، تام وغير تام :

الجناس التام :

هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي :

أنواع الحروف - عدد الحروف - هيكل الحروف - ترتيب الحروف .

وللجناس التام ثلاثة ضروب :

- المماثل ، اذا حدث التجانس بين اسمين
- المستوفي ، اذا وقع التجانس بين اسم وفعل
- التركيب ، اذا حدث التجانس بين كلمة مفردة وأخرى مركبة من كلمتين .

ويعد الجناس التام أكمل أنواع الجناس ابداعا وأسماها رتبة .

الجنـــاس غير التـــام :

وهـــو مـا اختلف فيـــه اللفظـــان في واحـــد مـــن الامـــور الاربعـــة الســـابقـــة الـذكـــر ، ومـــن هنـــا نستنتـــج أنـــه ينقســـم الى أربعـــة أقســـام كبـــرى :

1 - اذا اختلف اللفظـــان في أنـــواع الحـــروف ، فالجنـــاس هنـا يـأتي على ضربيـــن :

أ - جنـــاس مضـــارع

ب - جنـــاس لاحـــق

2 - اذا اختلف اللفظـــان في أعـــداد الحـــروف ، سمى ناقصا ، والجنـــاس النـاقص يـأتي على ضـربيـــن :

أ - مطـرف

ب - مـذيـل

3 - اذا اختلـف في هيئـة الحـروف الحـاصلـــة مـن الحركات والسكنـــات والنقـط، فالجنـــاس يـأتي كـذلك على ضـربيـــن :

أ - محـــرف

ب - مصحـــف

4 - اذا اختلف في ترتيب الحـــروف ، سمي جنـــاس القلب وهـو على أربعـــة أضـرب :

أ - جناس قلب كل

ب - جناس قلب بعض

ج - جناس قلب مجنح

د - جناس مستو(1)

ويشكل هذا المحسن البديعي اللفظي مقدارا ضخما في مقامات الحريري ، فقد كلف به واستخدمه بكميات وافرة ، فلا تكاد تخلو منه مقامة واحدة من مقاماته الخمسين . فالتجنيس بالنسبة اليه سيد المحسنات وأعلاها مرتبة ، وهو يعترف بذلك في مطلع المقامة الشعرية حيث يقول: " اني مولع بأنواع البلاغة ، بالتجنيس وأراه لها كالرئيس"(2)

لقد استخدم في مقاماته أنواعا عديدة من ألوان التجنيس ، فمنها ما جاء عفويا كالناقص ومنها ما جاء في تكلف وعنت بعد مشقة كالتام مثلا، لأن العثور على لفظين متشابهين في تأليف الحروق بنفس العدد والترتيب والوزن ، مختلفين في المعنى، مما يعسر الظفر به باطراد ، حتى في أغنى اللغات بالمترادفات كالعربية (3) .

---

1 - علم البديع - ص : 188 - 203
و - صناعة الكتابة - ص : 545

2 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 450

3 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 75

ومن التجنيسات التي جاءت في مقامات الحريري ولم تكن خفيفة مقبولة ، لكونها لم تكن صادرة عن عفوية أو طبع ، نأخذ نموذجا لما ورد في المقامة المغربية حيث يقول :

" شَهِدْتُ صَلاَةَ المَغرِب،في بَعْضِ مَسَاجِدِ المَغْرِب"(1)

التركيب بسيط ، اكتفى فيه الحريري بعملية اسنادية واحدة ، وقد قسمه الى فاصلتين ، ختمت كل منهما بكلمة واحدة تجانست في جميع الحروف ، واختلفت في المعنى ، فالمغرب الاولى تعني وقت الصلاة ، وتعني المغرب الثانية بلدا عربيا ، يقع في غرب شمال افرقيا ، وهو جناس تام .

لكن اذا تأملنا هذا التركيب لا نجده يحمل كبير معنى ، سوى أنه جئ به لاقامة السجعة والتجانس لا غير . وهو بعد ذلك لا يشير الى ناحية معينة من بلاد المغرب ، بل تكلّفها ثم سرعان ما نساها ، لأن همّه لم يكن في تحديد النواحي ووصف الامكنة وصفا دقيقا قائما على المشاهدة

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ ص : 2 / 75

والمعرفة ، وانما كان يبحث عما يحقق له رغبته في التناسق الموسيقي و التجانس اللفظي (1) ,

كما نجده يستخدم تجنيسات مقبولة في المقامة نفسها ، عندما يقول :

" وشُبْنا نحنُ الى استشارة مُلَح الأدَب وعُيُونِه واستِنْباطِ مَعِينِهِ مِنْ عُيُونِهِ "(2) .

جنس الحريري بين عيونه في الفاصلة الاولى وعيونه في الفاصلة الثانية . فالعيون الاولى بمعنى المختار من الادب ، والعيون الثانية بمعنى عين الماء ، فجاء الجناس تاما لتوافق اللفظين في الشروط الاربعة المذكورة آنفا .

ومن الجناس التام أيضا قوله :

" حَلَلْتُ فِيهِمْ سَائِلاً : فلقيتَ جُودًا سَائِلاً" (3)

وردت هذه التجنيسة تامة ، اذ اتفق اللفظان: سائل في الشطر الاول ، وسائل في الشطر الثاني ، في الحروف مع النطق ، واختلفا في المعنى أو الدلالة . فاللفظة في

---

1 ـ فن المقامات في الادب العربي ـ ص : 442

2 ـ شرح مقامات الحريري ـ ص : 2 / 80

3 ـ المرجع نفسه ـ ص : 449

التركيب الاول (سائلا) بمعنى (طالبا معروفهم) ، واللفظة في التركيب الثاني (سائلا) بمعنى (جاريا) .

ومما يلاحظ على هذه التجنيسة أنها جاءت بدون تكلف ، فالحريري لم يعنت نفسه من أجل أن يأتي بها ، فهي قد تقع للناس جميعا ، فأقلهم المامًا بالعربية تجري على لسانه عفوا ، اذا صرف همه الى مثل هذا المعنى ، فمابالك بالحريري الذي كان يعتبر امام عصره الى جانب المامه الكبير باللغة ، وباعه الطويل فيها ، وولوعه بفن البديع .

فالتجنيس سيطر على كتاب المقامة ولم تكد تخلو واحدة مما ألفوه ، فقد كانت السمة البارزة ، والمسيطرة بشكل يثير الانتباه . ومن خلت مقاماته من هذا اللون فلا يعد مقامي ، فقد يحمل المقامي فن الجناس ما لا يتحمل ، ويجشمه ما لا يطيق ، ولا يأبه لركاكة وضعف الاسلوب ، اذا استقامت له التجنيسات المثالية ، ولا يهمه ان استخدمت هذه الالوان البديعية ما دامت الاجراس قائمة (1)

---

1 ـ فن المقامات في الادب العربي ـ ص : 450

فالجناس التام نادر في المقامة المغربية اذا ما قيس بالناقص ، فمن خلال اطلاعنا عليها لم نعثر الا على ثلاثة تجنيسات : فالاولى كانت (بين صلاة المغرب ومساجد المغرب) ، وهي لم تأت عن طبع ، ولكن عن تكلف وعنت ، وقد أشرنا الى ذلك آنفا ، غير أن التجنيستين الاخيرتين ، تميل كل منهما الى الخفة والعفوية ، وهذا النوع من الجناس يعتبر أكمل الانواع وأسماها مرتبة ، وأكثرها صعوبة ، لأن الظفر بلفظتين متفقتين في جميع الحروف ، بالاضافة الى الشكل والعدد والترتيب ، مختلفتين في المعنى مما يصعب العثور عليهما

غير أن الجناس من النوع الثاني (الناقص) قد تواتر بكميات هائلة في المقامة المغربية ، حتى كأنها كلها تجنيسات : وهذه صورة تعكس ماذهب اليه الحريري ، بأن التجنيس أعلى المراتب المحسنات البديعية والبلاغية على الاطلاق ، حيث نجده مسيطرا سيطرة كلية على أسلوبه حتى لا تكاد تخلو منه جملة واحدة ، وقد تنوع حتى شمل كل الاصناف . فقوله :

" فَرَغِبْتُ فِي مُحَادَثَتِهِمْ لِكَلِمَةٍ تُسْتَفَادُ ،أو أَدَبٍ يُسْتَزَادُ

فَسَعَيْتُ اِلَيْهِمْ سَعْيَ المُتَطَفِّلِ عَلَيْهِمْ ، وَقُلْتُ لَهُمْ أَتَقْبَلُونَ نَزِيلاً يَطْلُبُ جَنيَ الأَسْمَارِ لاَ جَنِيَّ الثِّمَارِ ، وَيَبْغِي مَلَحَ الحِوَارِ لاَ مَلْحَاءَ الحُوَارِ " (1)

لقد اشتمل التركيب على عدة تجنيسات غير تامة ، بمختلف أنواعها ، فقد تم الجناس بين لفظتي (تستفاد و تستزاد) ، وهو جناس ناقص ، من النوع اللاحق ، حيث تباعد فيه الحرفان (ف ، ز) في المخرج ، المختلفان في التركيب .

يمكن أن يحدث الجناس بين الاسمين أو بين الفعلين أو بين الاسم والفعل أو بين الحرفين، وهو ما نجده في هذا التركيب ، الذي جنّس بين (اليهم) و (عليهم) ، وهو جناس ناقص ، مضارع ، لتقارب الحرفين اللذين وقع فيهما الاختلاف في المخرج .

أما الجناس بين (الجَنَى) و (الجَنِي) وبين (الحِوار) و (الحُوار) ، فهو من النوع المحرف ، حيث اتفقا ركناه في عدد الحروف وترتيبها ونوعها ، واختلفا في الحركات ، وهذا الاختلاف الحاصل في الحركات والسكنات يكون في الاسماء والافعال على حد

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2 / 76

سواء ، وأما الجناس الموجود بين (مُلَحَ) و (مَلَّحَاءَ) فهو من النوع المذيل ، وهو زيادة في أحد ركني الجناس بأكثر من حرف واحد في آخره (1) .

ان الجناس الناقص قد طغى على أسلوب مقامات الحريري ، بشكل مكثف ، لم يفته الا فن السجع لسهولة العثور على الفواصل المتفقة في المروي.

كما يأتي أحيانا عفويا ، مطبوع الخاطر يلذ في الاذن ، وينفذ الى القلب ، وكثيرا ما يأتي عن عنت وعناء ، يقلق ويخدش الذوق الادبي .

ولنأخذ - مثلا - هذه النماذج المستعملة في المقامة المغربية ، لنقف على مختلف الانواع التي أوردها الحريري :

- " فَلَمْ أَجْلِسْ إِلاَّ لَمْحَةَ بَارِقٍ خَاطِفٍ أَوْ نُغْبَةَ طَائِرٍ خَائِفٍ "

- " غَشِيَنَا جَوَابٌ على عَاتِقِهِ جِرَابٌ "

- " يا أُولِي الأَلْبَابِ وَالفَضْلِ اللُّبَابِ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَنْفَسَ القُرُبَاتِ تَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ "

- " فَهَلْ فِي الجَمَاعَةِ مَنْ يَفْتَأُ عَنَّا حُمَيَّا المَجَاعَةِ "

- "إِنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ العِشَاءِ وَلَمْ يَبْقَ الاَّ فَضَلاَتِ العَشَاءِ"

---

1 - علم البديع - ص : 196 - 199

- " فَإِنْ كُنتَ بِهَا قَنُوعًا فَمَا تَجِدُ فِينَا مَنُوعًا "

- " فَأَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَبْدَهُ أَنْ يَزُوَّدَهُ مَا عِنْدَهُ "

- " فَتَدَاعَيْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَنْتِجَ لَهُ الأَفْكَارَ وَنَقْتَرِعُ مِنْهُ الأَبْكَارَ"

- " وَأَفْضَتْ النُّوبَةُ إِلَيَّ وَقَدْ تَعَيَّنَ نَظْمَ السَّمْطِ السَّبَاعِيِّ عَلَيَّ "

- " فَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَصُوغُ وَيَكْسِرُ ، وَيَشْرِي وَيَعْسِرُ "

- " لَوْ حَضَرَ السَّرُوجِيُّ هَذَا المَقَامَ لَشَفَى الدَّاءَ العقامَ "

- " إِنَّ مِنَ الْعَنَاءِ العَظِيمِ اسْتِيلَادَ العَقِيمِ "

- " سَأَنُوبُ مَنَابَكَ وَأَكْفِيكَ مَا نَابَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْشُرَ وَلاَ تَعْشُرَ "

- " مَدَحْنَاهُ حَتَّى اسْتَعْفَى ، وَمَنَحْنَاهُ إِلَى أَنْ اسْتَكْفَى "

- " وَبَيْنِي وَبَيْنَ كِنِّي لَيْلٌ دَامِسٌ وَطَرِيقٌ طَامِسٌ "

- " وَسَأَلُوهُ أَنْ يُسَامِرَهُمْ لَيْلَتَهُ عَلَى أَنْ يُجْبِرُوا عَيْلَتَهُ"

- " انِّي قَصَدْتُكُم وأَطْفَالِي يَتَضَرَّعُونَ مِنَ الجُوعِ ، ويَدْعُونَ لِي بِوَشْكِ الرُّجُوعِ "

- " اتَّبِعْهُ إِلَى فِئَتِهِ لِيَكُونَ أَسْرَعَ لِفِيئَتِهِ " (1)

---

1 - شرح مقامات الحريري - : 2 / 79 - 88

ونكتفي بهذا القدر من الامثلة التي أوردها الحريري في المقامة المغربية ، علما أنها تحمل أزيد من خمسين جناسا في مختلف الاقسام والانواع ، شأنها في ذلك شأن جميع المقامات الاخرى ، والتى تقوم أساسا على هذا الفن البديعي .

ان مما لا شك فيه أن هذه الامثلة التي أوردناها كشواهد عن اكتظاظ مقاماته بهذا النوع البديعي ، لم تشتمل على جميع أصناف الجناس التي ذكرها علماء البلاغة ، ذلك لانه لم يكن يولي اهتماما بالغا لايراد جميع أنواع الجناس في مقامة واحدة .

ونحاول الوقوف على أنواع التجنيسات المستعملة من خلال هذه الامثلة التي سقناها في المقامة المغربية .

- لقد اختلف اللفظان في أنواع الحروف بحيث لم يتعد حرف واحد ، وهذا النوع من الجناس يأتي على ضربين: جناس مضارع ، حيث نجده في الامثلة التالية : (أَنْفَسَ القُرُبَاتِ وَتَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ) ، فقد اختلف اللفظان (القُرُبَاتِ والكُرُبَاتِ) في حرف واحد (ق - ك) ، وهما متقاربان في المخرج، مما جعل التشابه بينهما كبيرا.

وينطبق الحكم أيضا على الامثلة التي تحمل الالفاظ التالية : (الافكار - الابكار) و (اليّ - عليّ) و (يُكَسِّرُ يُعَسِّرُ) و (مَدَحْنَاهُ - مَنَحْنَاهُ) و (اسْتَعْفَى - اسْتَكْفَى) و(دَامِسٌ طَامِسٌ)

- أما الضرب الثاني فهو الجناس اللاحق ، وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج . وقد استخدم منه الكثير ، ومن الالفاظ المتجانسة الدالة عليه في الامثلة التالية :)(خَاطِفٍ - خَائِفٍ) و (جُوَّابٌ - جَرَّابٌ) و (الأَلْبَابِ - اللُّبَابِ) و (قَنُوعًا مَنُوعًا) و (المَقَامَ - العَقَامَ) و (العَظِيمِ - العَقِيمِ) و (تَنْشُرُ - تَعْشُرُ)

- وان اختلف اللفظان في عدد الحروف سمي الجناس ناقصا ، وهذا لنقصان أحد اللفظين عن الآخر ، وهو يأتي على ضربين كذلك (1) :

ومما جاءمنه في المقامة المغربية ، تجانس اللفظين (الجُوع - الرُجُوع) و (فِئَتِهِ - فِيئَتِهِ) و (مَنَابَكَ نَابَكَ) و يعرف هذا النوع بالمطرف ، لتطرف الزيادة فيه .

---

1 - علم البديع - ص 196

أما النوع الثاني الذي يطلق عليه اسم (مذيل) وهو ماكانت الزيادة في أحد لفظيه بأكثر من حرف واحد في آخره .

- أما اذا اختلف اللفظان في هئية الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات والنقط ، فان الجناس يأتي منه على ضربين أيضا (1) :

1 - جناس محرف

2 - جناس مصحف

فالاول ما اتفق ركناه فى عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات فقط ، سواء كان اسمين أوفعلين أو اسم و فعل . ومما جاء منه في المقامة المغربية : (العِشَاءِ - العَشَاءِ) ، حيث وقع الاختلاف على مستوى الحركات لا غير .

أما النوع الثاني ، وهو الذي يعرف بالمصحف ، فهو ما اتفق فيه ركنا الجناس في عدد الحروف وترتيبها ، واختلفا في النقط لا غير . ومن أمثلتة في المقامة المغربية : (عِنْدَهُ - عَبْدَهُ)

---

1 - المرجع السابق - ص : 196

- وان اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي (جناس القلب) ، وسماه قوم (جناس العكس) ، ويأتي على أربعة أضرب :

1 - قلب كل

2 - قلب بعض

3 - قلب مجنح

4 - قلب مستو

وقد اشتملت المقامة المغربية على كل أنواع جناس القلب .

فمن جناس" قلب كل " (كَبِّرْ رَجَاءَ أَجْرَ رَبِّكَ) ، اذ حدث التجانس بين لفظتي (كِبِّرْ - رَبِّكَ) حيث نجد أحد اللفظين عكس الآخر في ترتيب حروفه كلها .

أما (قلب بعض) فقد جاء في قوله :(فَهَلْ فِي الجَمَاعَةِ مَنْ يَفتَأُ عنّا حُمَيَا المَجَاعَةِ) ، اذ وقع الجناس بين لفظي (الجَمَاعَةِ - المَجَاعَةِ) ، وقد اختلف اللفظان في ترتيب بعض الحروف ، على مستوى (الميم والجيم) .

أما الجناس المجنح فقد ورد في قوله (سَكَتٌ كَلَ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكِسْ) ، اذ حدث التجانس بين لفظي (سَكَتٌ - تَكِسْ) ، حيث وقع أحدهما في أول الكلام والآخر في آخره وهذا كثيرا مايرد في الشعر ومنه قوله :(1)

---

1 - المرجع السابق - ص : 202 - 204

أَسْكِنْ تَقَوَّ فَعَسَى يُعْسِفُ وَقْتٌ نَكَسَا

- النوع الرابع (مستو) وسماه قوم (المقلوب) ، وسماه السكاكي (مقلوب الكل) ، وعرفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ، وهو أن يكون عكس لفظي الجناس لطردهما (1) . وهو يقرأ من اليمين ومن الشمال دون أن يتأثر المعنى أو يتغير ، ومما جاء منه في المقامة المغربية مايلي :

(سَاكِبٌ كَأْسٍ) و (لَمْ أَخَامَلَ) و (كَبِّرْ رَجَاءَ أَجَرَ رِبِّكَ) و(مَنْ يَارَبَّ إِذَا بَرَّ يَنَمْ) .

ومن الشعر قوله في المقامة نفسها :

أُسْ أَرْمَلاَ إِذَا عَرَا وارْعَ إِذَا المَرْءُ أَسَا
أَسْنِدْ أَخَا نَبَاهَةٍ ابْنَ إِخَاءٍ دُنِّسَا
أَسْلُ جَنَابَ غَاشِمٍ مُشَاغِبٍ إِنْ جَلَسَا
أَسْرُ إِذَا هَبَّ مِرَاً وارْمِ بِهِ إِذَا رَسَا
أَسْكِنْ تَقَوَّ فَعَسَى يُعْسِفُ وَقْتٌ نَكَسَا (2)

استخدم الحريري في هذه الامثلة جناس القلب ، اذ الابيات جميعها تقرأ طردا كما تقرأ عكسا ، والامر

---

1 - علم البديع - ص : 204

2 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 82 - 85

نفسه بالنسبة للجمل الاولى .

مع الاشارة الى أن هذا النوع من الجناس ، الذي جاء في مقامات الحريري نادر الوجود في الاثار الادبية لانه مما يصعب على الكتاب الاهتداء اليه بسهولة ، كما جاء هذا الفن مرة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : " وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ " (المدثر : 4) .

وعلى الرغم من أن الحريري كان من أعظم كتاب عصره وأوفرهم حظا من المحصول اللغوي فاننا نجده في هذه المقامة قد أعنت نفسه اعناتا شديدا ، حتى وقع له هذا الفن البديعي ، الذي جاء أغلبه ثقيلا يثير القلق في نفوس السامعين ، وهو لا يستقيم الا لأكبر الماهرين في التلاعب بفن الكلام .

ان مقدرة الحريري الخارقة على تدبيج القول في صور مختلفة ، لاظهار البراعة الانشائية ، دفعته للخوض في مواضع مختلفة ، كجناس القلب مثلا الذي استخدمه في المقامة المغربية ، وقد يلجأ أحيانا الى أغرب من ذلك ، حينما نجده في المقامة القهقرية يضمنها رسالة مطولة ، تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه آخر (1) .

---

1 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 194 - 195

هـذا مـا يـدل دلالـة قـاطعـة على أن أسلـوب الحريري كـان يعتمـد على اصطنـاع الغريب في صيـاغـاتـه المختلفة لاظهـار مقـدرتـه اللغـويـة مـن جهـة ، وقصـد التحدي والتفـوق المطلق على هـذا الفـن ، مـن جهـة أخـرى .

السجـــع :

" السجع ، لغة ، من سجع سجعا ، استوى واستقام ، وأشبه بعضه بعضا . والسجع : الكلام المقفى ، والجمع أسجاع ، وسجع تسجيعا : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن " (1)

وهو عند صاحب "نهاية الارب في فنون الادب" يعني أن " الكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز ، موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يجانس بين قرائن ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك الا بالوقف . ألا ترى الى قولهم : "ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت " (2)

أما القزويني ، فالسجع عنده " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد "(3)

لازم السجع كلام العرب من القدم ، فكان حضوره مكثفا في كل الآثار الادبية ، من أقوال مأثورة وأمثال وحكم و ألغاز وشعر ونثر ، فلسان العرب وكلامهم على ضربين: منظوم ومنثور ، وكل

---

1 ـ معجم مصطلحات الفنون ـ مادة : سجع
2 ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ ص 103
3 ـ الايضاح في علوم البلاغة ـ ص : 2 / 547

نوع من هذين الفنين يشتمل على أغراض وفنون مختلفة ، فالمنظوم يقصد به الشعر الذي تحكمه أوزان وقوافي ، وهو بالاضافة الى ذلك " كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن ، متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق رويا قافية ، ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة " (1) .

أما الضرب الثاني من كلامهم فهو المنثور، ومنه " السجع الذي يؤتى به قطعا ويلزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ، يسمى سجعا ، ومنه المرسل ، وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا لا يقطع أجزاء ، بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية (2) .

ان الادب العربي ، بنوعيه ، الشعري والنثري ، قد حفل بهذا المحسن البديعي اللفظي على اختلاف مراحله وعصوره ، يقوى حينا ، ويضعف أحيانا أخرى . فقد تحدث عنه الجاحظ ، وأفرد له أبوابا ، ونوه فيها بأثره في الكلام وتأثيره في النفوس (3)

---

1 - المقدمة - ص : 566

2 - المرجع نفسه - ص : 556

3 - للتوسع انظر : الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية - ، ص : 107 - 190

وكثيرا ما كان أهل الكتابة والادباء يؤثرون الكلام المسجوع ، ويلزمون أنفسهم باقامة القوافي والاوزان . ولما سئل أحدهم عن ذلك ، قال : " ان كلامي لو كنت لا آمل فيه الاّ سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، و هو أحق بالتقييد وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره " (1) .

الظاهر أن السجع كان المساعد الاساسي على الحفظ السريع ، وأن النفس تجد فيه من المتعة ما يجعلها تميل اليه ، خاصة اذا كانت الالفاظ المسجوعة حلوة ، عذبة . (2)

وليس أرقى منزلة في السجع وأشرفها " من أن ترسل المعاني على سجيتها ، وتدعها تطلب لنفسها الالفاظ، فانها اذا تركت وما تريد ، لم تكتس منها الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها "(3)

---

1 ـ البيان والتبيين ـ 1 / 287

2 ـ للتوسع انظر : محمد العمري ـ الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ـ منشورات دار سال ـ المغرب ـ 1991ـ ص:33ـ 61

3 ـ كتاب الصناعتين ـ ص : 260

ومن الملاحظ أن السجع اذا جاء عن عنت وتكلف ، أقلق النفوس ، ومالت عنه ، وبالتالي ذمه الناس وكرهوه ، وهو اذا سلم من ذلك كان أرقى وأحسن الكلام ، حيث نجد خير الانام تكلم به لما قدم المدينة قال " أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " .

ان هذا كله يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف ، والخلو من التعسف (1)

ولما جاء القرن الرابع الهجري أصبح السجع المثل الاعلى الذي يحتدى ، واهتم به الناس ، وأصبح عندهم كل من لم يسجع في كلامه لا شأن له ، فقد ران السجع على جميع الاساليب والتراكيب الفنية ، وارتقى الى أن استبد على النثر الفني استبدادا تاما ، حيث ظل مهيمنا قرونا عديدة ، والمقامات هي ميدانه الفسيح ومرتعه الخصيب (2)

---

1 - في تاريخ البلاغة العربية - ص : 120

2 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 434 - 534

كما أن أصحاب المقامات على اختلافهم واختلاف مراحلهم ، قد التزموا بهذا الفن فوظفوه في أعمالهم الادبية ، حتى اعتبر روح المقامة وقلبها النابض ، وكان يأتي اما خفيفا رشيقا مقبولا ، لاتكاد تظهر عليه آثار الصنعة والتكلف ، أو يأتي سمجا ثقيلا باردا ، لان امارات التكلف والضعف عليه أبدى .

ونجد الحريري قد ألزم نفسه باقتفاء هذا المذهب حيث استخدم في جميع مقاماته السجع ، بشكل متنوع ، بين المرصع والمتوازي ، والمطرف والمتوازن :

1 - فالمرصع : هو أن تكون فيه الالفاظ متساوية الاوزان ، متفقة الاعجاز (1) نحو قوله تعالى :
" ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم " (الانفطار:82)

وقال الحريري : " وَهُوَيَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ وَيَقْرَعُ الاسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ " (2)

ومما يلاحظ في مقامات الحريري أن هذا النوع من السجع لا يستعمل الا قليلا اذا ما قيس ببقية الانواع الاخرى وذلك ، نظرا لصعوبة الوصول اليه .

---

1 - نهاية الارب في فنون الادب - ص: 104
2 - شرح مقامات الحريري - ص : 1 / 29

2 - المتوازي : " هو أن يراعي في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الاخير منهما ، كقوله تعالى : فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة " (الغاشية :13 14) (1)

وهذا النوع استعمل بكثرة في مقامات الحريري لكونه لايحتاج الى مقدرة لغوية كبيرة

3 - المطرّف : هو أن يراعى الحرف الاخير في كلمتي قرينته من غير مراعاة الوزن ، كقوله تعالى : مالكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا (نوح : 13 - 14)

وبعبارة أخرى ، فالسجع المطرف هو ما اختلفت فيه الفواصل وزنا واتفقت رويا ، وقد طغى هذا النوع بكثرة على المقامة ، لسهولة الوصول اليه من جهة ، ولكونه يساعد على الحفظ من جهة أخرى

4 - المتوازن : وهو أن يراعي في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن ، مع اختلاف الحرف الاخير منهما كقوله تعالى : ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة (الغاشية :15-16)

وهذا النوع نادر جدا في المقامات ، ولا تعود هذه الندرة الى ضعف الحريري وانما لصعوبة الظفر به .

---

1 - نهاية الارب في فنون الادب - ص : 104

وعلى العموم فان جميع مقامات الحريري مبنية على هذه الانواع من الاسجاع ، فمنها ما يقل كالمرصع والمتوازن ، لصعوبتهما ، ومنها مايأتي بكثرة مفرطة كالمطرف والمتوازي ، لسهولة الظفر بهما .

وبالاضافة الى ذلك فقد عمد الحريري الى عوامل مساعدة كالامثال والاقوال المأثورة والالغاز و تضمين الاحاديث والايات القرآنية ، واللجوء أحيانا الى استعمال الاساليب المجازية .

لاينشأ السجع عن الالفاظ من حيث هي ألفاظ وانما لا بد من قدرة على انتقاء هذه الالفاظ ذات الاجراس الموسيقية ووضعها في أماكنها الملائمة ، بحيث يحدث بينها الترابط والتآلف والانسجام والتجانس، وكأنها خلقت في موضعها الذي وجدت فيه ،

كما تتفاوت الاسجاع المستخدمة في مقامات الحريري من حيث السهولة والصعوبة ، فالمرصع قليل اذا ما قيس بالانواع الاخرى ، وليس من الهين الوصول اليه ، وهذا ما ورد منه في المقامة المغربية : " إنَّ أَخَا الشَّدَائِدِ لَيْقنعُ بِلُفاظَاتِ المَوائِدِ ونُفَاضَاتِ الْمَزاوِدِ(1)

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 79 .

بدأ التركيب بناسخ لتأكيد مضمون الكلام واستخدم في التركيب نفسه لام الابتداء الواقعة في خبر ان (ليقنعُ) ، وهي من مؤكدات الخبر أيضا .

فالحريري قد استعمل مؤكدين اثنين ، هما : ان الناسخة ، ولام الابتداء . لان المخاطب على درجة قوية من الانكار للخير ، وعلى هذا الاساس كان من الضروري تأكيد الكلام بأكثر من مؤكدين لازالة الابهام والانكار من ذهن المخاطب .

نلاحظ أن الجملة المرصعة التي اشتمل عليها التركيب ارتبطت باسم الناسخ ، وتماثل كل لفظ منها في الوزن والقافية :

فكلمة (لفاظات) قابلتها (نفاضات) وتشابهت معها في الوزن والروي .

وكلمة (الموائد) قابلتها (المزاود) وتشابهت معها هي الاخرى في الوزن والقافية . وبالاضافة الى ذلك فهناك تشابه كبير على مستوى الحروف مما أدى الى احداث تجانس قوي

ومما ورد في هذه المقامة قوله : " فَهَاكَ نَصِيحَةً هِيَ مِنْ نَفَائِسِ النَّصَائِحِ وَمَغَارِسِ المَصَالِحِ " (1)

---

1 - المرجع السابق - ص : 2 / 88

جاء التركيب مصدّرا باسم فعل الامر (هَاكَ) ، وهذا الامر مقيد ، ينبغي على السامع أن يعيه ، أما التركيب المرصع فقد سبق بضمير الفصل ، وغرضه توكيد الكلام ، وكل كلمة بعده لها ما بقابلها وزنا وقافية .

فنفائس تقابلها مغارس ، وكان التشابه بينهما على مستوى الوزن والقافية

أما النصائح فتقابلها المصالح ، وهي الاخرى قد تماثلت وزنا وتقفية .

لقد عوّل الحريري في هذا التركيب على المعنى ، لان النصيحة لها معنى نزيه وشريف في آن واحد ، وما جاء بعدها من سجع كان وقعه جميلا .

كما ورد في هذه المقامة قوله :

" عَلِمْتُ أَنَّ مُسَامَرَتَهُ غُنْمٌ وَمُسَاهَرَتَهُ نُعْمٌ " (1)

فالتركيب الاساسي أحادي ، أما التركيب الفرعي فهو ثنائي ، وقد اشتمل كل منهما على سجع مرصع ، فلكل كلمة مايقابلها وزنا ورويا :

مسامرته تقابلها مساهرته ، وغُنْمٌ تقابلها نُعْمٌ .

---

1 - المرجع السابق - ص : 2 / 59

ومما يلاحظ هنا أن التشابه في هذه العناصر كان كبيرا جدا حتى على مستوى الحروف ، اذ كلما قصرت الجملة وتشابهت فيها المسائل قوبلت بارتياح لدى المتلقي ، خاصة اذا علمنا أن المقامات قد وضعت للحفظ

وكما استخدم الحريري السجع المرصع جاء أيضا بالمتوازي ، وهو أن تتفق اللفظة الاخيرة في الوزن والروي كقوله (صلعم) : " اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" (1) .

وما قيل في هذه التراكيب يمكن قوله أيضا في بقية التراكيب الاخرى ، اذ ان جل الاسجاع المستخدمة في مقامات الحريري تؤدي معنى يخالف الاخر ، وجلها جاء بدون عنت ولا تعسف ، وهي علامات السجع الصالح في نظر البلاغيين

على أن هذا لا يدل دلالة قاطعة على أن جميع تراكيب مقامات الحريري تنتسب الى هذا النوع ، بل اننا نجد في المقامة نفسها أسجاعا أثقل موقعا وأغرب مخرجا وأضعف تعبيرا عن المعاني . وهذا نموذج آخر قد نقف فيه على ما ذهبنا اليه :

---

1 - علم البديع - ص: 210

" شَهِدْتُ صَلاَةَ المغرب في بَعْضِ مَسَاجِدِ المَغْرِبِ ، فَلَمَّا أَدَّيْتُهَا بِفَضْلِهَا وَشَفْعِهَا بنفلها أَخَذَ طَرْفِي رُفْقَةً قَدْ انْتَبَذُوا نَاحِيَةٍ وامْتَازُوا صَفْوةً صَافِيَةً ، وَهُمْ يَتَحَاطُونَ كَأْسَ المُنَافَثَةِ وَيَقْتَرِحُونَ زِنَادَ المُبَاحَثَةِ ، فرغبْتُ فِي مُحَادَثَتِهِمْ لِكَلِمَةٍ تُسْتَفَادُ أَوْ أَدَبٍ يُسْتَزَادُ ، فَسَعَيْتُ إِلَيْهِمْ سَعْيَ المُتَطَفِّلِ عَلَيْهِمْ ، وَقُلْتُ لَهُمْ : أَتَقْبَلُونَ نَزِيلاً يَطْلُبُ جَنَى الأَسْمَارِ لاَ جَنِيَّ الثِّمَارِ ، وَيَبْغِي مُلَحَ الحِوَارِ لاَ مَلْحَاءَ الحُوَارِ ، فَحَلُّوا لِي الحُبَا وَقَالُوا مَرْحَبًا مَرْحَبًا " (1)

فأثناء تأملنا لهذا المقطع من المقامة المغربية وجدنا فيه كثيرا من الاسجاع زائدة على المعاني ، لا تؤدي كبير معنى . ففي الجملة الاولى على سبيل المثال - " شَهِدْتُ صَلاَةَ المَغْرِبِ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ المَغْرِبِ " ، نجد الحريري لا يعني - في حقيقة الامر شيئا - غير اقامة السجعة ، وما يحقق له من تجانس أو تناسق موسيقي . لقد أجهد نفسه من أجل الوصول اليه ، وهو لايضيف معنى آخر الى المعنى السطحي المعهود في السياق اللغوي .

أما الجملة الثانية " فَأَدَّيْتُهَا بِفَضْلِهَا وَشَفْعِهَا" فمما يلاحظ على هذا التركيب أن السجعة زائدة

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 75

في اللفظ على المعنى ، فالضمير في (أَدَّيْتُهَا) يعود على صَلاَةَ المَغْرِبِ ، ثم بحث عما يقيم له السجعة الموازية فجاء بكلمة (فضلها) ، ثم عطفها على (شَفْعِهَا) ، وهو توكيد لا يحمل كبير معنى للجملة . فأداء الصلاة لا يفهم منه أداء بعض منها ، فالصلاة كل لا يتجزأ (1)

أما بقية الجمل فهي لا تختلف عن سابقاتها ، فالحريري - في هذه المقامة - لا يكاد يخفي رغبته الشديدة في تزويق الالفاظ وتنميقها ، فضلا عن التهالك على السجع ، ولوكان ذلك على حساب المعنى . وهذا ما أدى الى ذم ابن الاثير سجع الحريري، حيث يقول : " ولقد تصفحت المقامات الحريرية ... على غرام الناس (بها) واكبارهم (عليها) ، فوجدت الاكثر من السجع (فيها) على الاسلوب الذي أنكرته " (2) .

مع الاشارة الى أن الاسلوب الذي ينكره ابن الاثير هو أن ترد سجعتان تدل على معنى واحد ، أما السجع الذي يؤثره فهو " أن تكون لكل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى ، غير المعنى الذي

---

1 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 442
2 - المثل السائر - 1 / 198

اشتملت عليه أختها " (1) .

ومما ورد في هذه المقامة أيضا : " يا أُولي الأَلْبَابِ والفَضْلِ اللُّبَابِ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَنْفَسَ القُرُبَاتِ تَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ ، وَأَمْتَنَ أَسْبَابِ النَّجَاتِ مَوَاسَاةِ ذَوِيَ الحَاجَاتِ وَلِي وَمَنْ أَحَلَّنِي سَاحَتَكُم وَأَتَاحَ لِي اسْتِمَاحَتَكُم لَشَرِيدٌ مَحَلٌّ قَاص ، وَبَرِيدُ صِبْيَةِ خَمَاص ، فَهَلْ فِي الجَمَاعَةِ مَنْ يَفْتَأُ عَنَّا حُمَيَّا المَجَاعَةِ ،؟ فَقَالُوا لَهُ : يَاهَذَا إِنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ العِشَاءِ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ فُضَلاَتِ العَشَاءِ ، فَإِنْ كُنْتَ قَنُوعًا فَمَا تَجِدُ فِينَا مَنُوعًا (2).

فعند تأملنا لهذا الجزء من المقامة ،فلا نكاد ننكر أسلوبها ، فكل سجعة أدت معنى خاصا بها ، ولم تكن السجعة الثانية خاضعة للاولى في المعنى ، فالسجع هنا لم يسبب عناء ، كما أنه لم يكن حائلا في تتبع الفكرة ، بل ان المعاني لتنساب هادئة .

ان السجع المستخدم هنا لا يكاد يشعر به المتلقي

---

1 - المثل السائر - 1 / 198

2 - شرح مقامات الحريري - 2 / 79

لانه لا يحيل بينه وبين ما يريد الالمام به من معاني هذه التراكيب ، ففي الجملة الاولى من هذا المقطع (يا أولي الالباب والفضل اللباب) يرى القارئ انها بنية مزدوجة (أولي الالباب - الفضل اللباب) حيث حدث توليد في المضاف اليه (الالباب) و (اللباب) ، وهما لفظان مكونان للسجع والجناس .

وعلى العموم فان السجع لم يكن - عند الحريري - خادما طيعا في أغلب الاحيان للمعنى ، ومع ذلك فلم يكن الحريري يبالي أن تضطرب المعاني ، مادامت السجعة قائمة آخذة موقعها ازاء أختها ، مما جعل معظم أسجاعه تبدو مثقلة بألوان من التكلف والتصنع .

ثانيا : الخصائص المعنوية وأثرها في التركيب اللغوي

في مقامات الحريري

تعد مقامات الحريري تحفة أدبية رائعة تمتاز بأسلوبها الساحر وغرابة ألفاظها وسمو معانيها في الكثير من الاحيان ، حيث أحرزت شهرة في المحافل الادبية . ويعود سر نجاحها فيما نعتقد الى أسلوبها الذي يعتمد على المحسنات اللفظية ذات الاجراس الموسيقية ، وطريقة ترتيبها في مواضعها بانسجام تام ، دون الخروج عن قواعد اللغة ونظامها التركيبي .

ولا بأس من ذكر ما قاله أبو العباس الشريشي - الذي شرح مقامات الحريري - في حقه حتى يمكننا الكشف عن مكانته العلمية الحقيقية في عصره : " فبسط لسان الاحسان ، ومد أفنان الافتنان ، مهد جادة الاجادة وقوى مادة الافادة ، ولم يبق في البلاغة متعقبا ولا للزيادة مترقبا ، لاسيما في المقامات التي

ابتدعها ، والحكايات التي نوعها و فرعها ، والملح التي وشحها بدرر الفقر ، ورصعها ، فانه برز فيها سابقا ، وبذا البلغاء فائقا ، وأتى بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق مطابقا ، وخلد تاجا على همة الادب"(1)

لقد رزق شهرة مدوية ، فاقت كل تصور بما كان يقوم به من عناية بآثاره ، فالعصر كان عصر تصنع، وكان لا بد للحريري من اظهار مقدرته الفكرية وسعة اطلاعه باللغة ، وغريب مفرداتها لكونه عالما لغويا ونحويا كبيرا وأديبا فذا . فجاء بألوان الاساليب البديعية الراقية في الصناعة اللفظية .

واذا علمنا أن المقامة موضوعة أساسا للحفظ ، فكان لابد من ايجاد عوامل مساعدة تحقق هذه الغاية ، ومن بين هذه العوامل الايجاز والاطناب والاقتباس .

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 6

الايجـــاز :

الايجـاز عند الحريري مـن أهـم الخصـائـص المعنـويـة لتحقيـق الاغـراض البـلاغيـة ، والحـاجـة اليـه كـانـت لحفـظ هـذا التراث مـن الضيـاع ، ليسهـل على الاجيـال المتعـاقبـة تنـاقلـه سليمـا غيـر منقـوص.

وقد تطور مفهوم الايجاز حتى أصبح مطلبا بلاغيا يتنافس الادباء في الابداع فيه ، ويتفننون في طرقه وأساليبه ،

وقد عرّف الايجاز كبار البلاغيين العرب ، فالجاحظ يحدد مفهومه بقوله : " الايجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة " (1) .

أما صاحب الصناعتين فيبدو جد متأثرا برأى الجاحظ حيث يقول : " الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل ، وهمامن أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة " (2)

---

1 ـ الحيوان ـ ج 3 ص: 86

2 ـ الصناعتين ـ ص : 173

والايجاز عند الرماني هو : " تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى " (1)

كما يعرفه ابن الاثير بقوله : " الايجاز دلالة اللفظ على المعنى من غير أن تزيد عليه " (2)

وان اختلفت الصيغ التركيبية فان النتيجة واحدة في تحديد مفهوم الايجاز عند البلاغيين، حيث ان الايجاز يتمثل في جمع المعاني الكثيرة تحت الالفاظ القليلة ، مع الابانة والافصاح .

والايجاز ضربان ، ايجاز قصر وايجاز حذف : فايجاز القصر هو تقليل الالفاظ وتكثير المعاني، وقيل هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف ، مثل قوله تعالى : " يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم " (أل عمران : 3) ، و أصله : يلقون أقلامهم وينظرون ليعلموا أيهم يكفل مريم (4)

---

1 - العمدة - ص : 221
2 - المثل السائر - ص: 194
3 - علم المعاني - ص : 192
4 - المرجع نفسه - ص : 192 - 195

يأتي هذا النوع من الايجاز في أعلى الطبقات مكاناوأعوزها امكانا .

وقد استخدم الحريري أساليب ايجاز القصر في مقاماته بكثرة ، ومما ورد في المقامة الفرضية قوله ، مثلا :

" ما أبعدتَ في المكارم ، فربَّ رميةٍ من غيرِ رامٍ " (1) .

اكتفى الحريري في هذه العبارة القصيرة بألفاظ قليلة ، لكنها تحمل معاني كثيرة ، خاصة وأنه استعان بمثل عربي شهير ، حيث لخص القصة بأقل عدد ممكن من الالفاظ ، مع مراعاة الابانة والافصاح . كما ترك المجال واسعا للفهم والتفسير . ولو لجأ الى ذكرها لما استلذ ذلك في السمع .

فتضمين مثل هذا المثل العربي في الكلام جاء مناسبا للمقام ، معنى وصياغة ، حيث اشتمل التركيب على بنيتين اشتركتا في مقطع واحد

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 63

(المَرام - رَام) ، وهو تفسير للجملة المنفية (ما أبْعَدَتْ في المرام) ، لكنه بعيد عن الاطناب ، لان مجال الفهم والتفسير مفتوحا .

وقد تواتر هذا النمط التركيبي من الايجاز في مقامات الحريري ، فمن ذلك مثلا ، قوله :
" تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا وَتَأْبَى الدَّنِيَةَ وَلَوْ اضْطَرَّتْ اِلَيْهَا "(1) .

اشتمل التركيب على بنيتين أساسيتين ارتبطتا ببنية محورية ، مكونة من مسند ومسند اليه ، فضلا عن العلاقة السياقية التي يقتضيها التركيب ذو البنية المتماسكة مع العلاقات النحوية واللغوية .

تحمل هذه العبارة معاني ودلالات تفوق بكثير عدد الالفاظ التي وضعت لها ، خاصة عندما نجده يضمن العبارة مثلا عربيا شهيرا للحارث بن سليل الاسدي ، يضرب للذي لا يمنعه من صيانته شدة فقره ،

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 66

ومن العبارات التي تحمل ألفاظا قليلة ومعاني كثيرة قوله أيضا :

" أَهْلَكَ واللَّيْلَ فَشَمِّرِ الذَّيْلَ " (1) .

اشتمل التركيب على بنية محورية ارتبطت بها جملة انشائية ، اشتركت معها في المقطع الاخير من الفاصلتين .

فالبنية الاولى قد احتوت على كلمتين ، عطفت احداهما على الاخرى ، وهي تحمل معاني كثيرة . كما أن مازاد في تقوية و توسيع المعنى حرف العطف ، وكأن الليل والرجل المخاطب يتسابقان الى أهل الرجل : فقد أمره الآمر أن يسابق الليل وأن يحذر ظلمته ومخاطره ، ليكون عند أهله قبل أن يخيم الليل .

وأما البنية الثانية التي احتوت - هي الاخرى - على لفظين ، فقد حملت معنى أكثر طولا ، بالاضافة الى القصد الذي يأتي وراء هذا الأمر .

وهناك نوع آخر من الايجاز هو ايجاز الحذف ، الذي يعرفه البلاغيون بقولهم " هو ما يحذف منه

---

1 - المرجع السابق - ص : 2 / 70

كلمة أو جملة أو أكثر ، مع قرينة تعين المحذوف، ولا يكون الا فيما زاد معناه على لفظه "(1) . وهو أيضا " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الامر ، شبيه بالشعر ، فانك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر ، والصمت من الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق ، وأتم بيانا اذا لم تبن " (2) .

وقد يرجع الترك هنا ، اما لضيق المقام واما للاحتراس من العبث ، والاصل في الكلام أن يكون فيه ما يدل على المحذوف ، وان لم يوجد ما يدل على المحذوف فانه من الحديث، ومتى ظهر صار الكلا م الى شيء غث لايناسب الجمال البلاغي (3) .

وقد ذكرنا من قبل أن الايجاز بالحذف انما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر، ويأتي المحذوف في أساليب الايجاز على وجوه مختلفة ، كأن يكون مثلا : حرفا ، أو مضافا ، أو موصوفا ، أو صفة ، أو قسما ، أو جوابه ، أو مبتدأ ، أو فاعلا ...

---

1 - دلائل الاعجاز - ص : 170
2 - مفتاح العلوم - ص : 76 - و المثل السائر - ص : 198
3 - مفتاح العلوم - ص : 76

ويأتي في هذا المضمار قول الحريري : " غَرِيبٌ أَجَنَّهُ اللَّيْلُ وَغَشِيَهُ السَّيْلُ " (1) .

فالبنية بسيطة في تركيبها ، اشتملت على فاصلتين اشتركتا وزنا ورويا ، واتفقتا جناسا .

والملاحظ أن التركيب بدئ مباشرة بالخبر (غريب)، وترك المبتدأ ، والتقدير (هو غريب) . وقد اعتمد ذلك الحريري لاظهار أهمية الخبر ، معولا على فطنة وذكاء السامع . ثم ان الحسن يزداد أكثر في بلاغة الكلام بتنكير الخبر وتقديمه ، كما هو الشأن في لفظة (غريب) التي تحمل معاني ودلالات كثيرة لانجدها عند ذكر المبتدأ ، حيث يشتد انتباه المتلقي ويرتكز أساسا على الخبر ، بعدما أبعد عن نفسه المبتدأ وقد تواتر هذا النمط التركيبي في مقامات الحريري .

كما يتنوع المحذوف في استعمالات الحريري ، حيث يقول : " يَا هَذَا إِنَّ لِبُكَائِكَ سِرًّا وَوَرَاء تَحَرُّقِكَ لَشَرًّا "(2).

لقد احتوى هذا التركيب على بنيتين أيضا ، تآلفتا

---

1 - شرح مقامات الحريري - 2/ 70

2 - المرجع نفسه - 2 / 63

وتجانستا ، وجعل من الجملة الندائية بنية محورية التفت حولها جميع العناصر ، وارتبطت بها ، على أساس العلاقة التي يقتضيها النظام النحوي في اللغة العربية .

وقد استهل التركيب بنداء اسم الاشارة (هذا) ، وهومن الاسماء المبهمة ، ولذلك فهي تنزل منزلة (أي) وتلتقي معه في أنها توصف بالمعرف (ال) مرفوعا ، نقول "(يا هذا الرجل) ، وصار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد (1) .

وهذا ما ينطبق عليه التركيب الذي نحن بصدد التحدث عنه ، وفيه ما يدل على المحذوف . فاستخدامه لنداء اسم الاشارة بدون وصف أو عطف ، زاد في حسن الكلام وطلاوته ، خاصة عندما اتبع الجملة الندائية بجملة اسمية مؤكدة ، وأخري ظرفية تعلقتا بالبنية المحورية ، علاقة عضوية ، تحمل معاني وبعدا ايحائيا يفتح الباب واسعا للتخيل .

---

1 - الكتاب - 1 / 307

الاطنـــاب :

اذا كان القول البلاغي هو اصابة المعنى وحسن الايجاز مع اجاعة اللفظ واشباع المعنى فان الاطناب هو كثرة الكلام والاسهاب فيه لفائدة تراد ، والاّ كانت الزيادة حشوا أو تطويلا . على أن المهم في الكلام هو أن ياتي اللفظ في موقعه سواء طال التركيب أو قصر (1) .

والاطناب يكون - عادة - اذا عظم الخطب : فعند اشتداد الصخب يجد الخطيب نفسه مضطرا الى توضيح القول وتكراره ، كي يستوعب الجميع ما يرمي اليه ويريده .

فالاطناب اذن ، يجوز في مكان ولا يجوز في مكان آخر، وأن هذا النوع من الكلام يتوجه الى العامة من النّاس لا الى الخاصة ، لغرض تأكيد وترسيخ فكرة في ذهن المتلقي .

عد البلاغيون الاطناب لونا من الالوان البلاغية

---

1 - الابلاغية في البلاغة العربية - ص: 132 - 133

فالجاحظ قد اعتبر الاطناب مرادفاً الاطالة ، بينما يرى أبو هلال العسكري أن " الاطناب بلاغة والتطويل عي، لان التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب ، والاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه تحتوي على زيادة فائدة " (1)

أما ابن الاثير فبعد أن تكلم عن الاطناب لغويا، حدد مفهومه اصطلاحيا ، فقال : " الاطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة "(2) .

وهذا الحد هو الذي يميزه عن التطويل ، فلا يتجاوز منتهى البغية ومقدار الحاجة ، والتطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ، فيكون عيبا، كما يعتبر كل تكرار يأتي لغير فائدة تطويلا ، وأن كل تكرار يأتي لفائدة فانه جزء من الاطناب.

هذا
بالاضافة الى فان ابن الاثير قد فرق بين الايجاز والاطناب والتطويل ، حيث قال : " ان مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثالُ مقصد يُسلك اليه من ثلاثة

---

1 - كتاب الصناعتين - ص : 191
2 - المثل السائر - ص : 217

طرق ، فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه ،والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد اليه الاّ أن طريق الاطناب يشتمل على منزه من المنازه لا توجد في طريق التطويل " (1) .

أما السكاكي فعرف الاطناب بقوله : " الاطناب أداء المقصود بأكثر من عبارة "(2) .

كما عرفه القزويني بقوله : " الاطناب تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة " (3) .

وهكذا فان كل هذه التعريفات تتفق في جوهر تعريفها للاطناب .

ويأتي الاطناب على أنواع مختلفة لاغراض بلاغية منها : الايضاح بعد الابهام ، وذكر الخاص بعد العام ، وذكر العام بعد الخاص ، والتكرير لداع ، ومنه تأكيد الانذار ، والتحسر ، والايغال ، والاحتراس ، والاعتراض ، ومنه التنزيه ، والدعاء ، والتنبيه ، والتعظيم ::.(4).

---

1 - المثل السائر - ص : 217
2 - التلخيص - ص : 210
3 - الايضاح - ص : 118
4 - علم المعاني - ص : 205 - 215

وقد توفر هذا اللون في متن المقامات ، وهذا أمر طبيعي اذا عرفنا أن عصر الحريري كان عصر التصنع ، حيث الاساليب أكثر مرونة وتنوعا ، وللوصول الى تحقيق ذلك كان لا بد من السير في طريق الاطناب ، وهو مسلك يناسب الموضوع، حيث تتنوع الاساليب وتستخدم المترادفات ، واضافة بعض الكلمات والجمل لفائدة أو تكرار المعنى الواحد في عبارات مختلفة، وتوليد المعاني بعضها من بعض .

والغرض من استخدام الاطناب في المقامات هو تأكيد وترسيخ الفكرة في الاذهان ، قصد الاقناع ، ولا يتأتى ذلك الاّ بتكثير الجمل وتنوعها .

ومن أمثلة ذلك في مقامات الحريري قوله :
" أَرِقْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَالِكَةِ الجِلْبَابِ هَامِيَةِ الرَّبَابِ ، ولاَ أَرَقَ صَبٍّ طُرِدَ عَنِ البَابِ وَمُنِيَ بِصَدِّ الأَحْبَابِ " (1)

لقد اعتمد الحريري على لفظة واحدة ، تمثلت في المضاف اليه (ليلة) التي سمحت بالامتداد والاطالة ، وتبعتها عدة أوصاف ارتبطت بها ، كالسواد وشدة الظلام

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 58

وكثـــــرة الامطـــار .

وقـد استخـدم الحريري هذا الاسلوب لتـأكيـد المعنـى وتـرسيـخ الفكـرة في الاذهـان . فالوصف عنـده ، وسيلـة مـن وسـائـل التنـويـع والتـوكيـد،

وقـد عطـف على المضـاف اليـه جملـة مـن البنـى التركيبيـة ، اشتركت فـواصلهـا جميعـا فـي حـرف روي واحد مـوجـد ، هو (الباء)

ونـو رد مثالا آخر للحريري ، جـاء فيـه : " والَّـذِي حَرَّمَ أَكَـلَ الرِّبَـا وَ أَحَـلَّ أَكْـلَ اللَّبَـا ، مَـا فُهْتُ بِزُورٍ وَلَا دَلَّيْتُكَ بِغُرُورٍ " (1) .

لقـد أطـال الحريري هـذه الجملـة ليـؤكـد مـا يـريـد تبليغـه ، حيث استخـدم (واو) القسـم واسم الموصـول، وهمـا مـن وسـائـل التنويـع في الاسلـوب التي تسمـح للاسهـاب في الكـلام والامتـداد في الاطـالـة . فهـو لـم يُقْسِـمْ بلفـظ الجـلالـة الـذي يستبـدعي قلـة الكـلام وانمـا أقسـم باحـدى صفـاتـه ، وهـذا مـا جعـل التركيـب يمتـد ويطـول أكثـر ، لان الكـاتب، في مثـل هـذه الحـالـة ، يكـون بصـدد تكثيـر الاوصـاف قبـل الـوصـول الى مضمـون الخطـاب، ولـو أراد غيـر ذلـك

---

1 ـ شرح مقامات الحريري ـ ص : 2 / 58

لاكتفى بالتركيب التالي : (والله ما فهت بزور) بدل التركيب الذي يحتوي على ثنائيتين ، وكل ثنائية توافق أختها في الفاصلة الاولى (الربا - اللبا) ، والثانية (بزور - بغرور) ، لكن قصده من وراء ذلك هو تأكيد المعنى وترسيخه ، وتمكينه من الاذهان .

ومنه قوله أيضا : " فَلَا يَحْمِلَنَّكَ الجُوعُ الَّذِي هُوَ شِعَارُ الأَنْبِيَاءِ وَحِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ ، عَلَى أَنْ تَلْحَقَ بِمَنْ مَانَ وَتَتَخَلَّقُ بِالخُلُقِ الَّذِي يُجَانِبُ الإِيمَانَ " (1) .

لقد أطال كثيرا في هذا التركيب حيث استخدم وسائل التنويع التي تسمح بذلك ، فقد ارتبطت بالمسند اليه (الجوع) ثنائيتان ، اتفقت الاولى في المماثلة والروي ، والثانية في التقفية (الانبياء - الاولياء) (مان- الايمان) .

كما أن لفظة (شعار) المستخدمة في هذا التركيب تحتمل أن تكون صفة ، كما يحتمل أن تكون خبرا ، فلما استعمل ضمير الفصل (هو) تبين أن ما بعده خبر ، فقد أزال الاحتمال والابهام من الجملة التي دخل عليها ، وهو

---

1 - المرجع السابق - ص : 2 / 66

اضافة الى ذلك ، يفيد ضربا من التوكيد. لقد تمّ تأكيد المسند اليه (الجوع) باسم الموصول.(الذي) وضمير الفصل (هو) ، وهذا مايسمح للتركيب بالاطالة والامتداد للوقوف على منتهى الغاية .

أما الثنائية الثانية (تتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان) ، فقد اقتبسها من الحديث النبوي الشريف : " الكذب يجانب الايمان " ، وقد قال أبو بكر الصديق في المعنى نفسه : " اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان "

وفي مجال الاطناب بالوصف نورد القول التالي:

" فَلَحَظْتُ بِهَا تَمْرًا قَدْ حَسُنَ تَصْفِيفُهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ مَصِيفُهُ ، فَجَمَعَ عَلَى التَّحْقِيقِ صَفَاءَ الرَّحِيقِ وَنُضُوءَ العَقِيقِ ، وَقُبَالَتَهُ لَبَأٌ قَدْ بَرَزَ كَالإِبْرِيزِ الأَصْفَرِ وَانْجَلَى فِي اللَّوْنِ المُزَعْفَرِ ، فَهُوَ يُثْنِي عَلَى طَاهِيهِ بِلِسَانِ تَنَاهِيهِ وَيُصَوِّبُ رَأْيَ مُشْتَرِيهِ ،" (1) .

يطنب الحريري أحيانا باستعمال الوصف ، وهونوع يكثر في متن المقامات . والوصف من الخصائص التركيبية عند الحريري الذي يفسح المجال أمام

---

1 - المرجع السابق - ص 2 / 60

الجمل بالامتداد والتنوع، ويمكّن من تأكيد المعنى في الاذهان بتكرار المعنى الواحد في جمل مختلفة .

ان التركيب - هنا - قد اشتمل على مجموعة من البنى الافرادية تعلقت كلها بلفظتين ، هما :(التمر و اللبأ) .

فالاوصاف التي أوردها الحريري في وصفه للتمر من حسن التصفيف وزاده حسن الصيف ، فهو صافي كالشراب وأحمر، وكذا اللبأ الذي ظهر كالذهب الخالص بلونه الاصفر المزعفر، فغايته في جودته وحسن صنعته . فكأن في الحسن أقام له مقام اللسان يشكر مشتريه، لانهم أصابوا في رأيهم في شرائهم له .

وقد سمى العرب هذا الكلام بلسان الحال ، وقد بالغ الحريري في هذا النوع حتى كاد كلامه يكون حشو اوعيبا

كما استخدم الى جانب هذه الاوصاف وسائل أخرى توضيحية ، من أجل تأكيد المعنى وترسيخها في ذهن السامع باقحام (قد) التحقيق ،والتأكيد .

وقد اشتركت جميع البنى المستعملة في التركيب بفواصلها في الروي ، لتحقيق التلاؤم المقطعي والتناغم الموسيقي .

ومن أمثلة تكثير الجمل قوله : " أَعِذْنِي مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ،وَنَزَوَاتِ السَّلاَطِينِ ، . وإِعْنَاتِ البَاغِينِ ، وَمُعَانَاةِ الطَّاغِينَ،وَمُعَادَاةِ العَادِينَ ، وَعُدْوَانِ المُعَادِينَ وغَلَبِ الغَالِبِينَ،وَسَلَبِ السَّالِبِينَ،وَحِيَلِ المُحْتَالِينَ،وَغَيلِ المُغْتَالِينَ ، وأَجِرْنِي اللَّهُمَّ ، مِنْ جُورِ المُجَاوِرِينَ ، وَمُجَاوَرَةِ الجَائِرِينِ ، وَكُفَّ عَنِّيَ أَكُفَّ الظَّالِمِينَ ، وادْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكِ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ حُطْنِي فِي تُرْبَتِي وَغُرْبَتِي وَغَيْبَتِي وَأَوْبَتِي ."(1) .

ان هذه مجموعة من التراكيب غير الاسنادية لانها لا تتوفر على أركان الاسناد الاساسية ، وهي : المسند اليه ، المسند ، الاسناد ، لكنها مترابطة ترابطا ثنائيا من حيث المعنى ، فكل ثنائية يؤكد جزؤها الثاني الجزء الاول ، و يجمل معناه تأكيدا وتفسيرا .

فالجزء الاول من الثنائية الاولى (نزعات الشياطين) تحمل نفس المعنى الذي يحمله الجزء الثاني (نزوات السلاطين) فالفساد الذي يحدثه الشيطان بين القوم يمكن للسلطان أن يحدثه في رعيته .

أما الثنائية الثانية (أعنات الباغين ومعاناة الطاغين)

---

1 - شرح مقامات الحريري - 1 / 10

فكل جزء منها يحمل معنى الظلم والاسراف فيه ، فالباغي والطاغي ، كلاهما يتساوى في درجة البغي والطغى . وكذلك بالنسبة للثنائية الثالثة (معاداة العادين وعدوان المعاديين) ، اذ المتجاوز الحد في الظلم والمعتدي الظالم يشتركان في صفة الظلم والتعدي. أما الثنائية الرابعة (غلب الغالبين وسلب السالبين) فكلا الجزأين يشتركان في معاني السلب والنهي والاختلاس . أما الخامسة (حيل المحتالين وغيل المغتالين) فالجزء الاول يحمل معنى التحايل على الناس واستغلال حسن نواياهم لنهب أموالهم التي لها ارتباط وثيق بحياتهم ، والجزء الثاني يحمل الهلاك، فهما يشتركان في القضاء على الشئ وافنائه .

ويستمر الامر على هذا النمط مع باقي الثنائيات ، فهي تحمل معنى واحدا قد أعد بصيغ مختلفة ليرسخ المعنى في الاذهان

الاقتبـــاس :

ومن الخصائص الفنية المعنوية الاخرى التي ظهرت بكثرة قي مقامات الحريري فن الاقتباس ، وهو استلهام الآثار الادبية والدينية على اختلافها ، وتضمينها المقامات ، فجاءت تكتظ بهذا اللون البديعي اكتظاظا ، فلا تكاد تخلو واحدة من الاقتباس ، وخاصة الاقتباسات القرآنية بالدرجة الاولي ، ثم سائر الآثار الادبية الاخرى من أشعار وأقوال مأثورة وحكم وأمثال ، على اختلافها ثانيا (1) .

فقد يستعمل الاية القرآنية أحيانا كما وردت ، وأحيانا أخرى بتصرف ، دون الخروج عن الاطار العام الذي جاءت فيه .

ولعل كثرة الاقتباسات المستعملة عند كتاب المقامة تفسر بأنهم "كانوا أحفظ الناس للادب ، وأظهرهم للقرآن ، فكانوا حين

---

1 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 455 - 457

يصرفون أوهامهم الى معالجة فكرة ما ، تنهال عليهم التعابير من محفوظاتهم المخزونة في ذواكرهم . هذا الى ماينضاف الى رغبتهم الشديدة في التسامي بأساليبهم الى نحو يضارع القرآن أو يكاد ، والى التشبث بتلك الآثار ومحاولة محاكاتها على نحو أو على آخر .(1).

فوجود فن الاقتباس في المقامات ليس اذن مظهرا من مظاهر التقليد والجمود ، وانما كان أثراطبيعيا من آثار حالات نجمت عن القراءة الكثيرة والحفظ الغزير ، والذاكرة القوية .

ومما لا شك فيه أن الحريري كان في غاية الذكاء والفطنة ، واسع الفكر ، قوي الذاكرة ، هذه عوامل تضافرت لتجعله بارعا في وضع الآيات القرآنية والامثال العربية والاقوال المأثورة موضعها الملائمة ، وبثها في متن المقامة بثا منتظما ، محكما ، فحدث ذلك التلاؤم والتجانس

الملاحظ أن الاقتباس يكثر في مقامات الحريري ذات المواضع الوعظية ، ويقل في المقامات

---

1 - المرجع نفسه - ص : 462

الاخرى التي تعالج مواضع غير وعظية ، وكثيرا ما نجده يقتبس الايات القرآنية حرفيا ، كما أنزلت دون تغيير ، اذا كان المقام يستدعي ذلك ومن ذلك قوله :

" اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَمَا تَجِدُ فِينَا غَيْرَ رَاضٍ " (1)

استعمل الحريري في هذا التركيب الاية ، كما أنزلت بدون تغيير (أقض ما أنت قاض) (طه : 71)

اذا كان الأمر مهما يلجأ الى الاقتباس من القرآن الكريم ، لأن أحسن وسيلة يستعين بها لاظهار أهمية الامر وعظمته هو تضمين العبارات بآيات قرآنية ، يستهلها في أغلب الاحيان بأداة توكيد أو تحقيق أو فعل أمر أو نهي أو غيرها من وسائل التوكيد المختلفة التي تساعد على تقوية المعنى .

وفي كل الاساليب لانكاد نجد الحريري يغفل الجانب الشكلي للتركيب ، فقد اتبع الاية السابقة ببنية قصيرة حققت سجعا بين الفاصلتين وجناسا بين اللفظين .

1- شرح مقامات الحريري - 2 / 12

وقوله :

" لَايَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَلَا يَسَعُ أَنْ يَجْعَلَ البَرِيءُ كَذِي الظِّنَّةِ " (1)

استخدم الحريري في هذا التركيب الآية صراحة (لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة)(الحشر: 20) ، فقد اكتفى بالجزء الاول منها لتحقيق السجعة التي كان يبحث عنها ، فجاءت العبارة مقسمة الى فاصلتين مختومة بحرف روي موحد (التاء) .

فالتركيب يحمل دلالة معنوية توحي بالقوة والعظمة ، ودلالة جمالية بديعية ، توحي بالتوافق الموسيقي العام .

يستخدم الحريري الآية أو الحديث بدون تصريف أو تغيير ، كما ذكرنا ، اذا رأى المجال مناسبا لاقامة المحسّن البديعي الذي يبحث عنه ، فان لم يستقم له ذلك عدل عن هذه الطريقة فلا يقتبس الآية كما وردت في القرآن وانما يحدث بها تغييرا طفيفا ، كاستبدال الالفاظ أو يلجأ الى التقديم أو التأخير أو ادخال أدوات التوكيد

---

1 ـ المرجع السابق ـ ص : 2 / 136

دون الاخـــلال بالمعنـــى العـــام للقـــول المقتبـــس .

ممـــا جـــاء مـــن اقتبـــاس في المقـــامـــة المغربيـــة أيضا قولـــه :

" وكُنَّا قَدْ انتَظَمْنَا عِدَّةَ أَصَابِعِ الكَفِّ وَتَأَلَّفْنَا أُلْفَةَ أَصْحَابِ الكَهْفِ " (1) .

اشتمـــل التركيب على ثنـــائيـــة بنيت على أســـاس فـــاصلتيـــن ، اشتركتـــا في حروف الروي (الكف ـ الكهف).

وقـــد اقتبـــس الحريري هـــذه البنيـــة في التركيب مـــن سورة (الكهف : 18) (تألفنا ألفة أصحاب الكهف)، وقصتهم معـــروفـــة ، ذكـــرت في مختلف التفـــاسيـــر للقـــرآن الكريم فـــلا داعي لذكـــرهـــا في هـــذا المقـــام .

لـــم يستخـــدم الحريري الآيـــة كما وردت في القـــرآن الكريم غيـــر أن هنـــاك مـــا يشيـــر الى أن المعنى مقتبـــس عـــن القرآن الكريـــم .

وتـــأكيـــدا للخبـــر استعمـــل وســـائـــل مســـاعـــدة لترسيخ الفكـــرة في الاذهـــان . وبالاضـــافـــة الى حـــرف (قـــد) في البنيـــة ، وهو مـــن مؤكـــدات الخبـــر (2) ، فقـــد جـــاء في

---

1 ـ المرجع السابق ـ 2 / 80

2 ـ علـم المعـاني ـ ص : 58

البنية الثانية بمفعول مطلق (ألفة) ، وهو ما زاد التركيب توكيدا ,

وقد تتحقق انسجام موسيقي وتآلف مقطعي بين لفظتي (الكف والكهف) المتفقتان في أغلب حروفها فحدث بينهما تجانس ناقص

وقال :

" يا أَوَلي الأَلْبَابِ والفضْلِ أما تعْلَمُونَ أنَّ أَنْفَسَ القُرُبَاتِ تَنْفِيسُ الكُرُبَاتِ "(1) .

استخدم الحريري أسلوب النداء حتى يسمح للجملة بالامتداد ليتحقق له ما كان يهدف اليه ، حيث هيأ المجال وجلب الانتباه الى ما سيأتي من اقتباس لحديث شريف : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الاخرة"

فالحديث قد روي بالمعنى ، وليس كما ورد عن الرواة ليتجانس مع القول ليحقق جناسا بين فاصلتي الثنائية الاولى (الالباب - اللباب) والثانية (القربات - الكربات)

---

1 - شرح مقامات الحريري - ص : 2 / 79

ويستمر في الاقتباس من القرآن والحديث باحداث تغيير طفيف على مستوى الشكل دون الخروج عن الاطار العام الذي جاء فيه ، قال : " إِنَّ الغَاسِقَ قَدْ وَقَبَ وَوَجْهُ المَحَبَّةِ قَدْ انْتَقَبَ "(1).

فقد ضمن التركيب اقتباسا ، اشارة الى قوله تعالى " قل أعود برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب " (الفلق : 4)

تصرف الحريري كثيرا في الآية فاستبدل الالفاظ واقتصد فيها ، وأدخل أدوات التوكيد (ان) في البنية الاولى ، و عوّض في البنية القانية (اذا) الظرفية الزمانية بحرف تحقيق (قد) ، وهدفه تأكيد الجملة بشيئين (ان - قد) ، ويكون توكيد الخبر بهذه الطريقة على حسب درجة القوة والضعف من الانكار. فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم يلقى اليه الخبر بدون توكيد و ان كان منكرا لحكم الخبر وجب التوكيد بمؤكدات كما فعل في الفاصلة الثانية حيث عطف على الآية جملة جديدة اشتركت معها في الروي والمقطع الاخير

---

1 - المرجع السابق - ص : 2 / 87

(وقب - انتقب) لتقوى درجة التماثل والتشابه فتستلذه الانس وينفذ الى القلب .

وكما اقتبس من القرآن والحديث نجده ضمن مقاماته بعض الامثال العربية :

" فَمَا أَبْعَدْتَ فِي المَرَام فَرُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ " (1) .

في هذا التركيب اقتباس من مثل عربي ، يضرب بمن يصيب الغرض وليس له علم بالرماية " فرب رمية من غير رام " . وهو مثل قاله حكيم ابن عبد يغوث المقري ، وكان حكيم من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولابد ، فخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيئا ، فبات ليلته بأسوء حال ، وفعل في اليوم الثاني والثالث ، فلما أصبح قال لقومه : ما أنتم صانعون فاني قاتل اليوم نفسي ان لم أعقر اليوم مهاة ، فقال له ابنه أحملني معك ، قال ما أحمل من رعش هش ، فشل، فانطلقا ، فاذا هما بمهاة ، فرماها فأخطأها ، ثم مرت به أخرى فقال له ابنه يا أبتي ناولني

---

1 - المرجع السابق - 2 / 63

القوس ، فغضب أبوه وهمّ أن يعلوه بها ، فقال أحمد بحمدك ، فان سهمي سهمك ، فناوله القوس فرمى الابن فلم يخطئ ،،،فقال عند ذلك حكيم : رَبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ "(1) .

ان الحريري قد أضاف في هذا التركيب الى المثل الذي أخذه كما قالت به العرب بنية " فما أبعدت في المرام " حتى تناسب المثل ، وتؤدي البنية الغرض المطلوب من تحقيق السجعة والجناس .

ومن الامثال العربية التي ضمنها المقامات قوله : " قَدْ تَجُوعُ الْحُرَّةُ ولاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا وَتَأْبَى الدَّنِيَةَ وَلَوْ اضْطَرَّتْ إِلَيْهَا "(1) .

ومعنى القول : لا ترضع الحرة لبنها بالاجرة ، ثم تأكل ثمن لبنها ، فهذا من الفعل الدنيء عند العرب، وهي تمتنع من اتيانه ولو كانت اليه مضطرة

اقتبس المثل العربي (تَجُوعُ الحُرَّةُ ولاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا) وهو مثل يضرب للمروءة مع الحاجة ، قاله الحارث ابن سليل الاسدي ، وكان شيخا ، فخطب الى علقمة ابن حفصة الطائي ، فقال علقمة لامرأته اختبري ما عند ابنتك ، فاختبرت الام البنت ولم تزل بها حتى

---

1 - المرجع السابق - 2 / 66

غلبتها على أمرها ، فتزوجها الحارث وارتحل بها الى أهله ، وذات يوم وهو بفناء محلته وهي بجانبه اذ أقبل شباب من بني أسد ، فتنفست الصعداء ثم بكت ، فقال ما يبكيك ؟ قالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ ، فقال : ثكلتك أمك : تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا" فَالْحَقِ بِأَهْلِكِ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِيكِ"(1)

وعطف على جملة المثل جملة فعلية (وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها) فاشتركت معها في حرف الروي ، والمقطع الاخير (شدييها - اليها) ليزداد التشابه والايقاع الموسيقي .

ومما يلاحظ في اقتياس الحريري من الامثال العربية الشائعة ، يكون حرفيا دون اللجوء الى تغيير في الالفاظ أو تصرف ، وان أقبل على شيئ من هذا القبيل ، فقد يفقد المثل معناه وفائدته . وتجنبا لما قد يقع من انحراف في المعنى فقد أبقى على المثل كما قالت به العرب قديما .

---

1 - المرجع السالق - 2 / 66

ان المقامات التي اشتملت على آيات من القرآن الكريم ، أو أطراف من الاحاديث النبوينة الشريفة أو مقاديير من الامثال السائرة بكثرة ، هي مقامات ذات المواضيع الوعظية ، بينما تقل في المقامات الاخرى التي تعالج مواضيع غير وعظية (1)

---

1 - فن المقامات في الادب العربي - ص : 459

تقويم الفصل :

استخدم الحريري خصائص أسلوبية متنوعة في مقاماته ، حيث اشتملت على حكم ومواعظ وضروب من الكلام ، ونوادر البيان ، كما نجده يستعمل لغة متينة أنيقة في كثير من الاحيان ، ترنو اليها الابصار، وهدفه من وراء ذلك اظهار قدرته الخارقة على تدبيج القول في مختلف صوره ، وذلك لغاية تعليمية ، حسب ما يفهم من قوله : " فَأَيُّ حَرَجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحًا لِلتَّنْبِيهِ لَا لِلتَّمْوِيهِ ، وَنَحَا بِهَا مَنْحَى التَّهْذِيبِ لَا الْأَكَاذِيبِ ، وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ انْتَدَبَ لِتَعْلِيمٍ أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (1)

ومن أجل تحقيق هذه الغاية كان من الضروري ايجاد عوامل مساعدة لترسيخها في الأذهان ، حيث نجده يستعين بالمحسنات البديعية ، اللفظية منها والمعنوية ، كالجناس والسجع والاقتباس والايجاز والاطناب .

كما أن ما نستطيع استخلاصه من هذه الدراسة

---

1 - شرح مقامات الحريري - 1/ 26

هو أن المحسنات البديعية كانت أساس بناء الجملة في المقامات ، فالجناس أصل فيها ، فلا تكاد تقوم لها قائمة الا بقيامه ، وهو بالاضافة الى ذلك مرتبط أساسا بالتركيب ، وقد تواتر بأنواعه المختلفة من تام وغير تام ، وجميع ضروبهما

كما نجد بروز السجع بكثرة ، حيث سيطر سيطرة واضحة حتى أصبح طبيعة فيها . وقد اتخذ الحريري منه - فيما يبدو - وسيلة من وسائل الامتاع الادبي، نظرا لطول عابه ، والمامه الشامل بناصية اللغة . وعلى الرغم من أن السجع القصير يعتبر أرقى الاساليب البديعية لقرب الفواصل المسجوعة ، غير أننا نجده قليل الاستعمال بالمقارنة مع التراكيب المشتملة على المنصوبات التي تعتبر عاملا مساعدا في اطالة التركيب ، وتسمح لتحقيق السجعة ، وقد يمتد التركيب أحيانا الى فقرات طوال .

ومن الظواهر البارزة أيضا الاقتباس ، وهولايستطيع التعامل معه الا من أوتي علما غزيرا وبلاغة فذة . فكل الاقتباسات الموظفة في المقامات جاءت مسايرة للمعنى العام الذي يراد له . يؤتى به في

غالب الاحيان للاستشهاد وتثبيت المعاني وتأكيدها، اما من القرآن الكريم والحديث الشريف ،، أو من الامثال والاقوال المأثورة ، مع التصرف فيها ، اذا لم تستقم السجعة .

أما الصنعة اللفظية فضرورتها قد تدفع في غالب الاحيان ، الى الجمع بين جمل وأساليب متنوعة في تركيب واحد ، وقد تحذف بعض عناصره اذا كانت الضرورة تدعو الى ذلك ، عندما ينصب التركيز على عنصر أساسي في التكوين . فالتركيب قد يتبدل ويتغير وفق المحسن البديعي ونوعيته .

ولم يكن الحريري ، هو الوحيد الذي تعرض الى هذه الخصائص الفنية الراقية ، وانما هناك من سبقه الى ابتكار هذا الفن ، والوصول به الى أعلى المراتب ، ونعني بذلك بديع الزمان الهمداني الذي كان له فضل السبق في عمل المقامات . والحريري نفسه يعترف بعبقرية البديع في فتق باب هذا العلم وتوطيد أركانه ، عندما نجده يقول في مقدمة مقاماته :

" إِنَّ البَدِيعَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ آيَاتٍ ، وأَنَّ المُتَصَدِّي بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ وَلَوْ أُوتِيَ بَلَاغَةَ قُدَامَةَ لَا يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ وَلَا يَسْرِي

ذَلِكَ المَسْرَى اِلاّ بِدَلاَلَتِـــهِ "(1)

فالبديع والحريري ساعداعلى ظهور تيار أدبي اهتم باللفظ دون المعنى ، وانصرف الى الاعتناء بالسجع وانهمك في تنسيق توافق الكلمات ، حيث الدباجة والزخرفة اللفظية على حساب المعنى . وهذا ماأدى في مرحلة لاحقة الى تدهور النثر الادبي ، لتغليب الشكل على المضمون ، وبدأ الفساد يتسرب الى اللغة العربية من جراء هذا الاستعمال الغريب . فكل من ساعده لسانه على النطق ، وعرف مغزى لفظة أو سمع بالفصاحة والبلاغة دون أن يعرف لها معنى ، لجأ الى استعمال اللفظ الغريب ووضعه في غير موقعه ، فيضطرب المعنى اضطرابا لاتكاد تطمئن اليه النفس .

وعلى العموم ان فن المقامات ليس في متناول كل الادباء نظرا لكونه تحفة أدبية رائعة ، تمتاز بأسلوبها الساحر وغرابة ألفاظها . وستظل المقامات الحريرية على وجه الخصوص من أبرز الاعمال الادبية على الاطلاق .

---

1 - شرح مقامات لحريري - 1 / 20

الخـــاتمـــــة

لقد تعرضت في هذا البحث الى الدراسة التحليلية الوصفية لتركيب الجملة في مقامات الحريري . وقد تحريت في ذلك الدقة والتركيز في تناول الاساليب اللغوية المستعملة ، البلاغية منها أو النحوية ، بهدف تحديد الخصائص التركيبية المتميزة ، وما يمكن استخلاصه من ظواهر يمكن عدها من خصائص التراكيب الاسلوبية في بناء الجملة على اختلاف أنواعها وألوانها في مقامات الحريري اعتمادا على مختلف النظريات والاراء والاحكام التي جاء بها علماء اللغة في فترة متقدمة خاصة تلك المتعلقة بالتركيب والجملة ومكوناتهما الاساسية .

ولم أدرس كل الجوانب المتعلقة بالرسالة دراسة شاملة وانما درست نماذج لتراكيب معينة ، وتركت المجال للآخرين مفتوحا لمن أراد أن يضيف في الموضوع جديدا .

وقد اقتصرت على دراسة الامثلة المذكورة في المقامات الثلاث : الدمشقية والفرضية والمغربية ، غير أنني لجأت أحيانا الى أخذ نماذج قليلة من مقامات أخرى ، لانها فقط تظهر أكثر وضوحا ودقة من وجودها في المقامات التي أنا بصدد دراستها .

وقد توصل البحث بعد الاستقراء العام لمختلف التراكيب الى حقائق هامة نلخصها فيما يلي :

1 - نلاحظ قلة استعمال الحريري للجملة الاسمية ، وهيمنة الجملة الفعلية على أغلب التراكيب ، وأن الافعال الدالة فيها على الماضي أكثر من تلك الدالة على الحاضر (المستقبل)، ثم ان الدالة على الحاضر أكثر من الدالة على الامر ، وهذه الظاهرة قد تكون عامة في جميع مقامات الحريري ..

2 - تحديد مفهوم حقيقة الجملة النحوية بأنها أصغر وحدة كلامية يتعقد بينها الاسناد ويحدد معالمها . وهي ما يصطلح عليه بالجملة المفيدة سواء كانت اسمية أو فعلية .

3 - اشتملت المقامات على تراكيب اسنادية توفرت على العناصر الاساسية ، وأخرى غير اسنادية ، لها وظيفتها اللغوية والنحوية ، وهي المكونة من أساليب النداء والتعجب والمشتملة على فعل الامر.

4 - تواترت التراكيب الخبرية أكثر من الاساليب الاخرى ، وبنيت على أساس بنية محورية تنجذب اليها بقية البنى الفرعية ، وفي بعض الاحيان فان المتمم يتحول في عملية الاسناد الى عنصر محواري تتعلق به العناصر التركيبية وتساهم في امتداد الجملة لغرض تحقيق التجانس

المقطعي بين خواتم الفواصل .

وما يمكن استخلاصه أيضا أن التراكيب الخبرية طبيعة في المقامات لانها تسمح بتقديم معلومات يجهلها المرء بطريقة بعيدة عن أسلوب الكتابات الاخرى ، واستخدم لغة سهلة أحيانا وصعبة أحيانا أخرى مع تغليب طابع الصنعة .

5 - تضاربت الآراء واختلفت حول مفهوم التركيب لكن الحقيقة أنه علم يختص بدراسة العلاقات القائمة بين الوحدات التركيبية داخل نظام الجملة ، وحركة العناصر وتأثيرها ، والتركيب في حكم الكلمة الواحدة، وحذف جزء منها يجعل الكلمة غريبة لامعنى لها .

ان المتتبع للاساليب الانشائية في مقامة الحريري يكتشف أنها أقل استعمالا من التراكيب الخبرية ، وهي تتوزع بين القسم والنداء والامر والنهي والاستفهام والتمني والتعجب وغيرها من الاساليب الانشائية .

وقد امتازت هذه الاساليب بميزات خاصة : فالنداء مثلا يغلب عليه استعمال الاداة (يا) وهي تستخدم للقريب والبعيد، وقد تمتد الجملة النداءية و تقصر ، لكن تبقى ظاهرة التجانس الصوتي طاغية ، ولم تعد الوظيفة هي الاساس بقدرما كان التصنع هو الباعث .

ويقل استعمال لفظ الجلالة في اسلوب القسم ، وانما تذكر صفة من صفاته ، وان حذف فان هناك مايدل عليه ،فالقسم بغير الله مما لا يقبله الشرع ، كما يلاحظ في التراكيب استعمال واو القسم والاسم الموصول ، وهي من وسائل التنويع والاسلوب والاطالة في الجمل .

ويكثر استعمال أسلوب الامر بالمقارنة مع الاساليب الانشائية الاخرى ، والغرض منه جلب الانتباه الى ما بعد الفعل من أمر عظيم يستحق توجيه الاسماع اليه ، وقد يمزج الحريري أحيانا بين الامر والنهي ، والنهي محدو به حدو الامر في الاستعمال ، وقد يخرج كل منهما الى أغراض بلاغية مشتركة .

أما الاستفهام في مقامات الحريري فيخرج في أغلب الاحيان الى التقرير والانكار لانه لا يبحث عن اجابة وهي سمة لازمت معظم الجمل الاستفهامية ، ويعود ذلك في أغلب الحالا ت الى أغراض بلاغية .

- تحولت الاعمال الادبية في عصر الحريري الى تحف فنية ، غابت فيها المعاني في ثنايا المحسنات اللفظية ، وبلغ الاسلوب الانشائي حد الاسراف ، فانتقل من البساطة والوضو ح

الى التعقيد والغموض ، مثلت فيه المقامة الصورة الحقيقية التي آل اليها النثر الفني في تلك الفترة حين انصرفت عناية الادباء بتغليب الشكل على المضون واللفظ دون المعنى ، غير آبهين بما تلحقه مظاهر الزينة اللفظية من تأثير سلبي على الادب وتدهوره في مرحلة لا حقة ، فرغبتهم في اتقان التأليف أر سلتهم أحيانا حد الاعجاز .

وقد تصدى لهذه الظاهرة - نظرا لخطورتها على الادب - عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة)، ووضع أسس هذا العلم في العربية على قواعدراسخة ، كان نبراسا سار في رحابه أئمة اللغة وأرباب البلاغة حتى صار الانشاد علما يبحث فيه عن المنثور حيث انه بليغ وفصيح .

انتهيت بالدراسة في المجال البلاغي الى أن المحسنات اللفظية هي البنى الاساسية في مقامات الحريري ، بل هي رونقها وجمالها ، ولولاها لما كان لفن المقامات شأن يذكر ، لانها مبنية على أسس موسيقية تنغيمية تساعد على ادراكها وترسيخها في الاذهان.

فالسجع يعتبر الميزة البارزة في المقامات على

الاطلاق ، والمكون الاساسي لها ، فهي ميدانه الفسيح ومرتعه الخصب ، تظهر فيه براعة الحريري اللغوية ومقدرته الادبية باستخدام لمختلف أنواعه كالمرصع والمتوازي والمطرف والمتوازن .

واستخدم الجناس بأنواعه المختلفة من تام وغير تام ، وما يتفرع عن كل منهما ، وهو طبيعة في المقامات الحريرية ومرتبط أصلا بتركيبها ، يغلب عليه طابع العفوية ، يأتي خفيفا رشيقا .

ويكثر الاقتباس من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والامثال والاقوال المأثورة ، مع التصرف في بعضها عندما تدعو الضرورة الى ذلك . وهو فن يصعب التفاعل معه الا مع كان على دراية فائقة بدلالاته وجرسه وموضعه الملائم ، فمعظم الاقتباسات سايرت المعنى العام الذي أريد له ، ويؤتى بها في أغلب الاحيان للاستشهاد وتثبيت المعاني وتأكيدها .

ويأتي الايجاز في أعلى الطبقات مكانا وأعوزها امكانا ، يفرط في اصطناعه والتزيين فيه ، فيأتي بجمل قصيرة يقطعها تقطيعا موسيقيا ، فما تتعدى اللفظتين أو الثلاث ، وقلما

زادت فبلغت حد الخمس أو الست . واستخدم ايجاز القصر والحذف ، ويستعين في الكثير منها بالاقتباسات خاصة الامثال منها .

أما الاطناب فيكثر عند استعماله للوسائل المساعدة على امتداد التركيب كالمنصوبات بهدف البحث عن الفواصل المناسبة لاقامة السجعة التي قد تعوزه أحيانا ، ويعتمد على تكثير الجمل لغرض ترسيخ الفكرة في الاذهان ، وليتحقق له كل أنواع الزينة اللفظية المتوفرة في مقاماته .

قائمة المراجع

ابـــن الاثيـــر :

المثـــل السائـر في أدب الكـاتب والشاعر - تحقيق محمد الحوفي - بدوي طبانـــة - دار نهضة مصـــر القاهرة - 1959

الـرضى الاستراباـدي :

شـرح الرضى على الكـافيـــة - دار الكتب العلميـــة بيروت - 1985

عبد الرحمـان ايـــوب :

دراسات نقديـــة في النحو العربي - الانجلو المصريـــة القاهرة د ،ط

أجمد ماهر محمود البقري :

أسـاليب النفي في القرآن - مطبعـة دار نشـر الثقافـــة الاسكندريـــة - 1970

عبد اللـه بوخلخـــال :

التعبير الزمني عند النحاة العرب - ديوان المطبوعات الجامعيـــة - ج 1 ، ج 2

سعد الدين التفتازاني :

مختصر التلخيص للخطيب القزويني - طبعه عيسى البابي بمصـــر - 1977

التهـا وني :

معجم مصطلحات الفنون - مطبعة خياط -بيروت 1966

الجاحظ :

البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هرون - دار الفكر ط4

// الحيوان - تحقيق عبد السلام هرون - ط1 - دار الكتب - القاهرة عام 1938

عبد القاهر الجرجاني :

المقتصد في شرح الايضاح - تحقيق كاظم بحر مرجان - منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية -

// دلائل الاعجاز - دار الكتب العلمية - بيروت - 1988

// أسرار البلاغة - تحقيق محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت 1972

مصطفي جطل :

نظام الجملة - منشورات جامعة حلب - عام 1978

ابن جني :

الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتاب العربي - بيروت د ، ت

مصطفى الصاوي الجوني :

البلاغة العربية ، تأصيل وتجديد - منشأة البكري - دار المعارف .. الاسكندرية عام 1985

أبو محمد القاسم بن علي الحريري :

ملحة الاعراب - ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي - مصر

// شرح ملحة الاعراب في صناعة الاعراب

تمام حسن :

اللغة العربية مبناها ومعناها - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - د ، ت

// الاصول - دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النهضة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1982

// مناهج البحث في اللغة - مكتبة الانلو المصرية القاهرة 1990

عباس حسن :

النحو الوافي - دار المعارف بمصر - القاهرة عام 1974

سمير أبو حمدان :

الابلاغية في البلاغة العربية - دار الفكر للنشر - دار عويدا ت بيروت - لبنان - باريس عام 1991

أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي :

اعراب القرآن - دار الكتب - مصر - د ، ت

عبد القادر جسين :

المختصر في تاريخ البلاغة - دار الشرق - بيروت

عام 1982

ابن خلدون :

المقدمة - دار احياء التراث العربي - بيروت - د ، ت

أحمد خليل :

المدخل الى دراسة البلاغة العربية -

دارالنهضة العربية - بيروت - عام 1968

فايز الداية :

علم الدلالة العربي - ديوان المطبوعات الجامعية

الجزائر

فتحي عبد الفتاح الدجني :

الجملة النحوية ، نشأتها وتطورها

اعدادا - مكتبة الفلاح - الكويت - ط 2 -

عام : 1987

جعفـــر دك البـاب :

الموجـز في شعـــر دلائـــل الاعجـاز في شرح المعاني -
مطبعـــة الجيـــل - دمشق - 1980

أحمـــد علي الدهـــان :

الصورة البلاغيـــة عنـــد عبد القاهـــر الجرجاني ، منهجا
وتطبيقـــا - مكتبـة طلاس للدراسات والترجمـــــة
والنشـــر - 1986

عبـــده الراجحي :

النحـو العربي والدرس الحديث - دار المعرفـة الجامعية
الاسكندريـــة 1988

ابن رشيـق -:

العمـدة في محـاسن الشعر وادابـه ونقده - حققـه
محي الديـن عبد الحميد - دار الجيـل للنشر والتوزيع
بيروت - ط4 - عام : 1982

علي رضـــا :

اللغـة العربيـــة نحوهـا وصرفهـا - دار الفكـر - د ت

أبو القاســم الزجـاجي :

الايضـــاح في علـل النحـو - تحقيق مازن المبارك -
مكتبـــة دار العروبـة - القاهـــرة - 1959

الزمخشـــري :

المفصـــل في علـــم العربيـــة - دار الجيل للنشـــر والتوزيـــع - بيروت - ط2 -

// تفسيـــر الكشـــاف عن حقائق التنزيـــل وعيون الاقـاويل في وجـوه التأويـــل - تحقيق محمد مرسي عامـر - دار الصحف ط3 - القـاهـرة 1977

ابراهيـــم السمراني :

الفعـــل ،زمـانه وأبنيتـــه - مؤسســـة الطباعة والنشر والتوزيـــع - بيروت -ط4 - عام 1986

السكـاكي :

مفتـاح العلـوم - مطبعـــة مصطفى البابي الحلبي بمصـــر عام 1937

سيبويـــه :

الكتاب - تحقيق عبد السـلام هرون - عالـم الكتب - القاهرة ط3 - عام 1983

السيوطي :

المزهـــر في علـــوم اللغـــة وأنواعهـــا شرحـه وضبطـــه محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي - ومحمدأبو الفضـــل ابراهيم - دار الجيل بيروت -د ت

// همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - تحقيق عبد السلام هرون وعبد العال سالم مكرم - دار البحث العلمية الكويت 1975

أحمد الشايب :

الاسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية
مكتبة النهضة المصرية - ط6 القاهرة 1966

الشريشي :

شرح مقامات الحريري البصري - أشرف على نشره وطبعه
وتصحيحه محمد عبد المنعم خفاجي - المكتبة الشعبية
ط2 - القاهرة 1979

أحمد الصاوي :

النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني - الهيئة
المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1979

محمد الصبان :

حاشية الصبان على شرح الاشموني - المطبعة
العامرية الشرقية - ط2

ريمون طحان :

الالسنية العربية - دار الكتاب اللبناني - بيروت
عام 1972

المنصف عاشور :

التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كليلة ودمنة -
ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1982

محمد ابراهيم عبادة :

الجملة العربية ، دراسة لغوية نحوية - منشأة المعارف الاسكندرية 1988

عبد العزيز عتيق :

علم المعاني - دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1984

// علم البديع - دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1974

// في تاريخ البلاغة العربية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت د ، ت

محمد عبد المطلب :

البلاغة والاسلوبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984

أبو هلال العسكري :

الصناعتين - تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم - دار لبفكر العربي - 1984

أبو البقاء العكبري :

التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين تحقيق عبدالرحمن بن سليمان - دار الغرب الاسلامي بيروت 1986

محمد بركات محمد أبو علي :

دراسات في البلاغة - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان 1984

محمد العمري :

الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية - منشورات دار سال - المغرب 1991

ابن فارس :

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - تحقيق مصطفى الشويمي - مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت 1964

أبو زكريا الفراء :

معاني القرآن - عالم الكتب -بيروت ط3 - عام 1983

صلا فضل :

علم الاسلوب ، مبادئه واجراءاته - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة

عبد الهادي الفضيلي -:

مختصر النحو - دار الشروق - جدة -ط13 - عام 1988

عبد الحليم السيد فودة :

أساليب الاستفهام في القرآن - دار الشعب - القاهرة د ت

فخر الدين قباوة :

اعراب الجمل وأشبه الجمل - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط2 - عام 1981

ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن - تحقيق أحمد صقر - دار التراث العربي - 1973

القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب اللمصرية - ط3 القاهرة 1967

الخطيب القزويني :

التلخيص في علوم البلاغة - شرح عبد الرحمن البرقوقي د، ط عام 1904

// الايضاح في علوم البلاغة - شرح وتعليق وتنقيح عبد المنعم خفاجي - دار الكتاب اللبناني بيروت ط4 - عام 1975

فكتور الكك وأسعد أحمد علي :

صناعة الكتابة - دار السؤال بدمشق ط4 ،

عام 1981

المبرد :

المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - عالم الكتب

بيروت د ، ت

مهدي المخزومي :

في النحو العربي ، نقد وتوجيه - منشورات المكتبة

العربية - بيروت 1964

عبد الملك مرتاض :

فن المقامات في الادب العربي - الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع - الجزائر - 1980

عبد السلام المسدي :

الاسلوبية والاسلوب - الدار العربية للكتاب -

ليبيا تونس - ط2 - عام 1982

ابن المعتز :

البديع - تقديم أغناطيوس كراتشوفسكي - عضو

أكاديمية لينيغراد ، د ،ت

مجيد عبد الحميد ناجي :

الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - المؤسسة الجومعية للدراسات والنشر - بيروت عام 1984

مصطفى ناصف:

الصورة الادبية - مكتبة مصر - القاهرة 1958

// اللغة بين البلاغة والاسلوبية) - النادي الادبي بجدة السعودية عام 1989

// نظرية المعنى في النقد الادبي- دار القلم - القاهرة عام 1965

محمود أحمد نحلة :

مدخل الى دراسة الجملة العربية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1988

النويري :

نهاية الارب في فنون الادب - مطابع كوستا تسوماس - القاهرة د ، ت

أحمد الهاشمي :

جواهر البلاغة - دار احياء التراث العربي - بيروت د، ت

ابن هشـــام :

شروح شذور الذهب ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

دار الفكـــر د ، ت

// مغني اللبيب عن كتب الاغـــاريب ـ تحقيـق مازن مبارك

ومحمد على حمد الله ـ ط6 ـ بيروت 1985

أحمد سليمن ياقـوت :

ظـاهـــرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقهـــا في القرآن

ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1981

ابن يعيـــش :

شرح المفصـــل ـ المطبعـــة المنيريـة ـ القاهرة ، د ،ت

الرسائل المخطوطة :

مختار بوعناني :

الدراسة الصرفية بين المازني وابن مالك ، مقارنة في المنهج والمحتوى - رسالة دكتوراه - جامعة الزقازيق - مصر 1990

كمال عطاب :

التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري - جامعة عنابة - رسالة ماجستير - 1991

أحمد غرس الله :

الجملة الفعلية البسيطة في رسالة الغفران - جامعة قسنطينة - رسالة ماجستير 1993

أحمد فرجي :

التقديم والتأخير عند النحاة - جامعة تلمسان رسالة ماجستير 1993

فندي هزاع نصر :

الاستعارة بين النظرية والتطبيق - جامعة عين شمس رسالة ماجستير 1977

المراجـع الفرنسيـــــة :

Saussure (F. D)

Cours de linguistique générale , éd ;

Payot , Paris 1986

Tzvetan Todorov

Qu'est ce que le structura,isme , Poétique

de la prose , éd ; du Seuil , Paris 1971